الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف – المسيلة
العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

الرقم التسلسلي: /2018

رقم التسجيل: 1335083267

الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي خلال القرن 12 هـ -18م (دراسة مقارنة)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في:

شعبة: التاريخ تخصص: تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة: إشراف الأستاذ:

هجيرة بن عامر د.فاتح بلعمري

لجنة المناقشة:

د.ابراهيم مرزقلال	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	رئيسا
د. فاتح بلعمري	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	مشرفا ومقررا
د. عاشور	جامعة محمد بوضياف – المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية: 1438-1439هـ/2017-2018م

شُـكر وعرفان

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك خلقت فأبدعت، وأعطيت فأفضت، فلا حصر لنعمك ولا حدود لفضلك، وصلى الله وسلم على أشرف المرسلين ومعلم المعلمين نبينا ورسولنا محمد بن عبد الله الأمين خير من علم وأفضل من نصح.

ان كان هناك شكر فهو لله سبحانه وتعالى عن كثير فضله وسائر نعمه، وعلى توفيقه لي لإتمام هذا البحث.

أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور المشرف **بلعمري فاتح** الذي أعانني وساعدني في إتمام هذا البحث، فقد كان لي خير قدوة في الجد والاجتهاد، وفي البحث والتمحيص بدقة وأمانة علمية وكان خير موجه لي رغم انشغالاته فأمدني بنصائحه السديدة فله مني فائق التقدير والاحترام

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في إنجاز هذا البحث

مقدمة

مقدمة

انتشر في العهد العثماني أدب الرحلة الذي يعتبر من أجمل أنواع الآداب إذ أنه يعكس ويوثق جل ما صادف الرحالة عبر رحلاتهم، حيث أن الكاتب أو الرحالة ينقل كل ما رآه من خلال رحلاته، ويصف الأماكن التي زارها ويصف عادات الشعوب وأهلها وينقل العديد من المواقف التي تعرض لها خلال رحلته.

لقد تميز عهد الداي عثمان باشا بانتشار ذلك النوع من الرحلات والتي تعتبر من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، ومن أبرز هذه الرحلات خلال القرن 12هـ-18م رحلة كل من محمد الكبير وصالح باي إلى الصحراء الجزائرية وهو ما سيتم التطرق إليه من خلال هذه الدراسة.

دوافع اختيار الموضوع:

-الرغبة الشخصية في دراسة هذا الموضوع من أجل الاطلاع على أوضاع الصحراء الجزائرية خلال القرن 12هـ-18م.

-مدى أهمية البحث كونه موضوع يمس ناحية مهمة من نواحي الحياة في الجزائر خلال العهد العثماني.

-الرغبة في اكتشاف ومعرفة وجهة نظر كل من الرحالين إتجاه الصحراء الجزائرية.

الإشكالية:

باعتبار أن الصحراء الجزائرية خلال القرن12هـ-18م كانت تسودها الكثير من الاضطرابات، الشيء الذي دفع بكل من محمد الكبير وصالح باي إلى التوجه إليها من أجل السيطرة وتوسيع النفوذ. فيا ترى كيف كانت الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي في القرن 12هـ-18م؟ وفيما تجلت نتائج سياستهما على أهل الصحراء؟

وهنا نطرح تساؤلات حول الموضوع:

-ماهي مميزات شخصيتي محمد الكبير وصالح باي؟

-فيما تمثلت إنجازات كل منهما في المجالات الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية...؟

-فيما تكمن إنجازات كل منهما في الجانب العسكري؟

-كيف كان وضع الصحراء الجزائرية خلال القرن 12هـ-18م انطلاقا من رحلتيهما؟

-فيما تجلت نظرة الرحالين للصحراء الجزائرية؟

- ماهي مكامن الإختلاف والإئتلاف بين الرحلتين على الصحراء الجزائرية؟

المنهج:

وقد اعتمدت على المنهج التاريخي الوصفي والمنهج التحليلي المقارن ، فالوصف تجسد في وصف شخصية كل من محمد الكبير وصالح باي، ووصف أهم منشآتهم العمرانية وخدماتهم الثقافية ،الاجتماعية ،الاقتصادية والعسكرية، أما المنهج المقارن فتجسد في نظرة كل منهما اتجاه الصحراء الجزائرية في القرن 12هـ-18م بالإضافة إلى انعكاسات رحلة كل منهما على الصحراء الجزائرية.

أصول الدراسة:

اعتمدت على خطة بحث مكونة من ثلاثة فصول **فالفصل الأول** كان بعنوان التعريف بمحمد الكبير وتضمن نشأته وأهم منشآته العمرانية وخدماته الاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى سياسته في مجال الاقتصاد وأعماله الحربية ، **والفصل الثاني** جاء تحت عنوان التعريف بصالح باي وتضمن أيضا التعريف بصالح باي وأهم منشآته العمرانية وخدماته الاجتماعية والثقافية بالإضافة إلى أعماله الحربية وسياسته في مجال الاقتصاد ووفاته ، **أما الفصل الأخير** فكان بعنوان الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي والذي تناولت فيه وضع الصحراء الجزائرية من خلال رحلتيهما مبرزة المدن والمناطق الصحراوية المذكورة في الرحلتين، وكذلك نتائج الرحلتين على الصحراء الجزائرية.

المصادر والمراجع الأساسية:

وقد اعتمدت على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

رحلة محمد الكبير الى الجنوب الصحراوي الجزائري لكاتبها ابن هطال التلمساني والتي تعتبر من الرحلات الهامة في العهد العثماني، فقد تضمنت في طياتها أخبار جغرافية، إجتماعية سياسية وعسكرية لا يستغني عنها أي دارس للجزائر خلال القرن 12هـ-18م، بالإضافة إلى كون محمد الكبير شخصية جديرة بتسليط الأضواء عليها. وكذلك **كتاب الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني لمؤلفه ابن سحنون الراشدي** الذي دعم هذه الدراسة في معرفة الجانب العسكري من شخصية الباي محمد الكبير، بالإضافة إلى **كتاب تاريخ قسنطينة لمؤلفه الحاج أحمد بن مبارك العطار** الذي تضمن تفاصيل عن تاريخ قسنطينة وبالأخص في عهد صالح باي في الجانب الاجتماعي وأيضا كتاب **فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة لمؤلفه صالح العنتري** الذي تحدث عن حياة صالح باي وأهم

إنجازاته الحضارية في جميع المجالات بالإضافة الى سياسته المغايرة في نهاية عهده.

أما عن المراجع فندكر منها:

كتاب ناصر الدين سعيدوني ورقات جزائرية الذي تضمن في طياته رحلة صالح باي وكيفية تعامله مع أهل الصحراء. **وقسنطينة في عهد صالح باي البايات لفاطمة الزهراء قشي** الذي تناولت فيه بالتفصيل شخصية صالح باي، **محمد عثمان باشا داي الجزائر لكاتبه أحمد توفيق المدني** هذا الكتاب الذي يعتبر حلقة وصل بين الرحالين، حيث تناول سيرة كل من الشخصيتين إضافة الى ذكر ملامح اختلافهما في تعاملهم مع أهل الصحراء، **وإسماعيل العربي الصحراء الكبرى وشواطئها** الذي استفدت منه في تعريف المدن والمناطق الصحراوية المذكورة في كلتا الرحلتين.

وقد اعتمدت أيضا على جملة من المعاجم والدراسات نذكر منها:

عادل نويهض معجم أعلام الجزائر، س.موستراس المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية ، وعن الدراسات السابقة فقد كان من أبرزها **جهيدة بوعزيز الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي ببايلك الشرق أواخر العهد العثماني، وأرزقي شويتام المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني**، إضافة الى بعض الكتب الأجنبية والمقالات في عدة المجلات.

الصعوبات

- ضيق الوقت وقصر مدة إنجاز البحوث ثلاثة أشهر لا تكفي للبحث الدقيق.
- صعوبة التنقل الى مراكز البحث والمكتبات البعيدة.
- صعوبة ترجمة الكتب الأجنبية المتخصصة.

الفصل الأول

التعريف بالباي محمد الكبير

(1880-1768)

أولا: نشأتـــه

ثانيا: منشآته العمرانية ،خدماته الثقافية والاجتمـاعية

ثالثا: سياسته في المجال الاقتصادي وأهم انجازاته في الميدان العسكري

أولا: نشأتـــــه:

1- تعريف الباي محمد الكبير:

هو محمد بن عثمان الكردي ويسميه العرب في الناحية الغربية محمد الأكحل [1] أو الكبير، كنيته أبو عثمان، أمه جارية اسمها زائدة، أهداها لأبيه مولاي إسماعيل [2] سلطان المغرب الأقصى، أما أبوه فهو إسحاق الحاج عثمان بن ابراهيم الكردي، كان خليفة على مليانة ثم ارتقى فأصبح بايا على التيطري وأحوازها، توفي أبوه بمدينة معسكر [3] ودفن بها، بعدما بقي في الحكم تسعة أعوام، تاركا أمر عائلته لصديقه ابراهيم المليانى الذي تولى بايا مكانه، وتحت رعاية ابراهيم باي نشأ محمد نشأة صالحة وأقبل على العلم والفروسية[4].

ولما توسم ابراهيم باي في محمد الكبير نشاطا متزايدا وشجاعة صادقة وذكاء حادا أحب أن يوطد العلاقة بينهما، فأصهر إليه وزوجه بابنته، ولما ارتقى ابراهيم وعين على الإيالة الغربية أخذ معه صهره محمد الكبير وعينه قائدا على فليته سنة (1178هـ-1775م) وأشركه في أعمال الإدارة .

---

[1] الأكحل لقب أطلق عليه منذ صغره وذلك نظرا لسمرته. أنظر: أحمد بن هطال التلمساني، رحلة محمد الكبير باي الغرب إلى الجنوب الصحراوي الجزائري 1785، تقديم محمد بن عبد الكريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص16.

[2] مولاي إسماعيل (1672 – 1727) بويع بعد وفاة أخيه مولاي الرشيد، حاصر فاس ومراكش، حرر الثغور المحتلة، اعتنى بالتشييد والعمران وكانت له علاقات ودية مع أوروبا والحكومة التركية في الجزائر . أنظر: محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية (1075 هـ . 1311 هـ / 1664 – 1894 مـ) دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، 1977، ص 72 .

[3] معسكر مدينة تشرف على سهول اغريس، كانت عاصمة بايلك الغرب قبل استرجاع وهران، سكانها من الأتراك والعرب والبربر وفيهم كثير من الكراغلة.أنظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006، ص 59 .

[4] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766 – 1791) سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 140 .

2- توليته الحكـــم:

ظل محمد الكبير يرتقي في المناصب من قائد على فليته بزمورة ناحية غليزان (1765 – 1769)، إلى خليفة للباي ابراهيم في القطاع الشرقي وقاعدته مليانة[1] (1769 – 1779)، وعين خليفة للباي لحسن قيامه بواجبه وبراعته في الحكم وحسن التسيير، وبعد مدة قليلة أشركه في حكومته، ومنحه إدارة جميع الناحية الشرقية من الإيالة الغربية [2].

وفي سنة 1189هـ شارك محمد الكبير في الدفاع عن مدينة الجزائر بجيشه الباسل وأبدى شجاعة عديمة النظير، فشكره الداي محمد عثمان باشا [3] " شكرا جزيلا " وأثنى عليه الناس، وعندما توفي ابراهيم باي، طلبت الرعية من الداي أن يعين مكانه محمد الكبير بايا على الايالة الغربية .[4]

وكاد الداي ينفذ رغبة الرعية، لولا تعرض أحد الأغنياء اسمه الحاج خليل لابتياع هذا المنصب من الداي بثمن باهض وضع في خزانة مال الدولة حسبما جرت به العادة آنذاك، وهكذا بقي محمد الكبير يشغل منصب الخليفة[5]، مترقبا فرصة متاحة ليرتقي إلى مرتبة باي، وفي سنة 1192 هـ توفي الباي خليل، فاستجاب الداي لرغبة الرعية، وعين محمد الكبير بايا على الإيالة الغربية، وقضى على الثورة الدرقاوية وغيرها، وبمجرد جلوسه على كرسي الحكم

---

[1] مليانة تقع في منطقة مرتفعة بين خطي طول درجة7 دقائق غربا، وتقع غرب الدائرة التي تسمى باسمها وهي دائرة مليانة، لها جو معتدل وتجري فيها مياه كثيرة وعذبة. للمزيد أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014، ص289.

[2] أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 140 .

[3] الداي عثمان باشا، تولى الحكم سنة 1766، يعد من أبرز دايات الجزائر الذين شهد عصرهم حوادث كبرى خاصة ما تعلق بإخماد التمردات الداخلية ورد الحملات الخارجية كحملة الدنمارك، توفي سنة 1791 . أنظر: أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 62 .

[4] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514 – 1830)، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 174 .

[5] الخليفة وهو الذي يباشر إدارة البايلك وإليه يرجع أمر القياد الذين يمثلون السلطة في مختلف جهات البلاد وللخليفة أن يتولى أمور عدة قبائل، ورد هذا اللقب في مصر في العهد العثماني أنظر مصطفى بركات، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 23 .

وتعيينه بايا، شرع في إصلاح شؤون الرعية، والسهر على مصالح العباد وتنظيم البلاد، فراح ينشر الأمن،[1] وبادر بإخضاع القبائل المتمردة [2] على الحكم التركي، وملأ خزينته بما دفعوه له من الضرائب، كما أدخل بعضهم في المخزن فأصبحوا له منقادين، ولحكومته مخلصين[3].

3- خصالـــه:

كان محمد الكبير محبا للعلماء، الصلحاء، الفضلاء، الأدباء، الشجعان والنبلاء، وقد وصفه الأسير الألماني تيدنا بأنه حيوي ونشيط ومتفتح غير متعصب وأنه يحسن معاملة العبيد باختلاف جنسياتهم، كما أنه رقيق القلب يحب الناس ويتسم بالقوة، ومدحه على أساس أنه الشيخ الحاكم الجميل ذو اللحية البيضاء التي شبهها بالمرمر المصقول [4].

كان الباي محمد الكبير متضلعا في العلوم اللسانية [5]، حافظا لأشعار العرب موسعا في علوم الدين، وكان له اطلاع على علم الطب مثل بعض علماء الإسلام، فكان يجهز بنفسه الأدوية المختلفة ويوزعها على أفراد الشعب، ويتفاخر بذلك فيقول: " أنا طبيب الفقراء"، فكان تقيا نقيا يرسل كل سنة هدية مالية إلى الحرمين الشريفين [6] .

كانت علاقاته حسنة مع رؤساء الدول الإسلامية، فقد كان يتهادى معهم الهدايا مرارا وأغاث من استنجد به مثل رؤساء الدول الثلاث: مصر، تونس والمغرب، فقد رحب بعبد الرحمن ابن مولاي محمد سلطان المغرب، أثناء لجوئه إلى معسكر، وأيضا لما اختلف أحد

---

[1] أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 18 .

[2] القبائل المتمردة :متمركزة في المناطق الجبلية من مميزاتها رفض الخضوع لسلطة البايلك والتمرد والعصيان . أنظر ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني 1792 – 1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص ص 49 – 50 .

[3] أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 18 .

[4] عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2003، ص ص 36 – 37 .

[5] العلوم اللسانية : نقصد بها تلك العلوم التي تهدف إلى وضع قواعد كلية تصف أكبر عدد من معطيات اللغة الطبيعية . أنظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط 1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص11.

[6] محمد الطمار، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983، ص 253 .

خلف بايلك تيطري[1] مع رئيسه التجأ إلى مدينة معسكر فوجد في الباي الكبير رغبته المنشودة إذ استجاب له وهون عليه، ثم عينه خليفة على ضواحي معسكر[2].

ثانيا: منشآته العمرانية وخدماته الثقافية والاجتمـاعية

1-منشآته العمـرانية:

كان الباي محمد الكبير محبا للعلم والعلماء، لذلك اهتم ببناء المدارس والمساجد خاصة، والتي لعبت في عهده الدور الرئيسي في التعليم والتدريس، وقد كان من أشهرها:

•المدرسة المحمدية:

نسبت لمؤسسها الباي محمد الكبير وتبركا باسم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، أو مدرسة " الحايطة " [3] كما وردت على اللوحة التذكارية للجامع الأعظم واعتبرت من أهم المدارس التي أسسها الباي محمد الكبير بالغرب الجزائري لما كان لها من صدى واسع في العالم العربي والإسلامي[4]. إذ تمكن الباي محمد الكبير بفضل تلك المدرسة من أن يجعل من مدينة معسكر عاصمة علمية، وهي التي أشار إليها ابن سحنون بقوله: " ....وهي المدرسة التي كاد العلم أن يتفجر من جوانبها ..." [5]

في الحقيقة أن شهرة المدرسة ترجع أساسا إلى منهجية التدريس التي اتبعها المدرسون، فقد اتبع أبوراس الناصري الطريقة الجاحظية، فكان يذكر أثناء درسه لطائف مهمات

---

[1] بايلك التيطري: يشكل إحدى المقاطعات الرئيسية بالجزائر أثناء العهد العثماني يحد جنوبا دار السلطان ويفصل بين مقاطعتي الشرق قسنطينة والغرب وهران ومعسكر . أنظر: رحلة العالم الألماني ح.أوهابنستريت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ – 1732 م)، ترجمة وتقديم وتعليق ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص 63.

[2] أحمد بن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 29 .

[3] Lecterc, <<Inscription arabes de mascara>>, in R.A.N°04, année 1859, p44.

[4] بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات (1671- 1830)، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث، وهران، 2016 – 2017، ص 203 .

[5] أحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي، الثغر الجمالي في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 154.

وترتيبات عجيبات، حكايات ونوادر لتنشيط القلوب الفواتر على حد تعبيره، ولما رأى بايات المدينة كثرة الطلبة وازدحامهم عنده عملوا له كرسيا فاستعان به على الدرس[1].

وبالنسبة للمواد التي كانت تدرس في المدرسة المحمدية فهي لا تقل عن المواد التي كانت تدرس بأشهر المدارس الإسلامية، حيث طغى عليها الجانب الديني واللغوي وبعض كتب التاريخ والسيرة، وقد يعود ذلك إلى تفكير العلماء الذي كان منصبا بالدرجة الأولى على الفقه والتفسير والحديث والشعر[2].

وقد قام أيضا الباي محمد الكبير بتجهيز المدرسة بكافة الوسائل التعليمية والتثقيفية من مكتبة إلى قاعات مطالعة وغرف لمبيت الطلبة وكل المرافق الضرورية، وقد اختار الباي لإدارتها الشيخ محمد بن عبد الله الجيلالي، وعين لها مدرسين أجلاء وعلماء أكفاء، كالشيخ الظاهر بن حواء والشيخ مصطفى بن زرقة .

•الجـامع الأعـظم:

شيده الباي محمد الكبير بحاضرة معسكر [3] وذلك في الفاتح من ذي القعدة سنة 1195 هـ الموافق لنوفمبر 1781م من ماله الخاص، على أرض اشتراها بأغلى الأثمان، وصادفت بناءه مسغبة لم تمنع الباي من مواصلة البناء، بل أعلن أن كل من لم يجد قوت يومه يتقدم للمشاركة في عملية البناء بأجرة معلومة، يستعين بها لتوفير قوته وقوت عياله

[1] محمد أبوراس الجزائري، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " حياة أبوراس الذاتية والعلمية "، حققه وضبطه وعلق عليه محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 23 .

[2] بوجلال قدور، المرجع السابق، ص 204 .

[3] محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 267 .

وبالتالي كان بناء الجامع الأعظم فرصة لذوي الحاجة لمواجهة المسغبة المعاشة وقتئذ، علما أن عصر الباي اتسم بافتقاد الأشغال المأجورة وتفشي البطالة، وقد أسند مهمة بناء الجامع إلى مهندسين من أصل تركي[1].

وقد ألحق الباي محمد الكبير بالجامع الأعظم ستة عشر حوضا للوضوء تجلب لها المياه عبر السواقي والقنوات من أراضي تتوفر على ينابيع كثيرة، وبجواره بنى بيتا خصصه لمكتبة الجامع بها باب تؤدي إلى بيت الصلاة، واشترى له حدائق ودورا وحوانيت وبنى له فرنا وفندقا جديدا بالسوق القديم، كل هذه المرافق بدءا من المكتبة إلى الفندق حبسها على الجامع الأعظم [2]، أو المعروف بجامع عين البيضاء [3].

•إعادة بناء الجامع العتيق:

أعاد الباي محمد الكبير بناء الجامع العتيق الذي شيده والده الباي عثمان سنة 1761، وذلك بغية توسيع مساحته، وقام ببناء خمسة أحواض للوضوء به واستبدل منبره بمنبر أحسن من ذي قبل، وهو المسمى حاليا بمسجد سيدي حسن الذي تمت مبايعة الأمير عبد القادر فيه كقائد للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي [4].

وعن دور الباي محمد الكبير في ترميم وإصلاح المساجد قال ابن سحنون: " ...فكان أول ما صرف إليه همته أن شرع في إصلاح مساجد الجمعة فزاد في جامع السوق الصفين المقدمين"[5]، بمعنى آخر أن الباي قد وسع من مسجد جامع السوق وزاد فيه صفين من الأمام

[1] أحمد مريوش، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص ص 26 – 27 .

[2] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص 27 – 28 .

[3] ابن عودة المزاري، طلوع سعد السعود، ج 1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص296 .

[4] يحي بوعزيز، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص ص 213 – 214 .

[5] محمد الطمار، المرجع السابق، ص 253 .

بعدما رأى إقبال الناس الكبير على هذا الجامع الذي لم يقتصر دوره على أداء الصلاة فحسب، بل وكذلك القيام بالوظيفة التعليمية من خلال إلقاء الدروس، وتنظيم المناظرات الفكرية بين العلماء .

•جامع باي:

يذكر يحي بوعزيز أن هذا المسجد أسسه محمد الكبير عام 1793 في مكان يسمى خنق النطاح بوسط مدينة وهران [1]، لكن الفرنسيين فيما بعد أغلقوه لعشرات السنين ومنعوا رفع الآذان فيه وأحاطوه بعمارات بغية إخفائه والتقليل من شأنه، ولم يفتح إلا قبيل اندلاع الثورة [2].

•الجامع الأعظم:

هو الذي يطلق عليه مسجد الباشا، أسسه الباي محمد الكبير سنة 1796 بأمر من الباشا بابا حسن تخليدا لفتح وهران، يحكى أن الباي محمد لما فتح وهران ثم أعلم الباشا حسن بفتحها فرح كثيرا، ولما رأته زوجته فاطمة وخالتها جال به الطرب، قالتا له كان اللائق بك لإعلام سرورك أن تبني بها جامعا عظيما يبقى ذكرك مخلدا في الألسنة، فعند ذلك أمر الباي محمد ببنائه [3].

وقد بعث الباشا للباي محمد الكبير صندوقين مملوءين مالا، واحد بعد واحد ليصرف ذلك على البناء، وبعث أمين البنائين محمد الشرشالي بن تدبيرت ليحضر ذلك، ولما شرع

---

[1] وهران: مدينة من المدن الجزائرية تقع على اثنتي عشر درجة وثلاثين دقيقة في خطوط الطول وعلى أربع وثلاثين درجة من خطوط العرض وعلى بعد عشرين فرسخا من تلمسان .أنظر: مارمول كربخال، افريقيا، ج 2، ترجمة محمد حجي وآخرون، الرباط، مطبعة المعارف الجديدة، 1984، ص 329 . كما أنها مدينة كثيرة الثمار والبساتين وهي من أعز البلاد فيها آثار قديمة وأهلها موصوفين بعظم الخلق وكمال القامة . أنظر كاتب مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار (وصف مكة والمدينة) مصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص ص 133 – 134 .

[2] عبد القادر بكاري، المرجع السابق، ص 94 .

[3] محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 267 .

في بنائه حفر أساسه في بستان تحت البرج الأحمر وجمعوا لمنارته حجرا ضخما أتوا به من برج الصبايحية، وكان العمال هم الذين يحملون تلك الحجارة [1].

وتم حبس العديد من المتاجر والحمامات لهذا المسجد، وأوتي بالماء له من عين جارية كانت قريبة منه، كما بنى القناطر والجسور وعبد الطرقات وحصن أسوار معسكر، وفي تلمسان جدد الباي محمد الكبير بناء مدرستين وأعاد لهما أوقافهما القديمة، كما رمم المباني العمومية، أما في مدينة الجزائر فقد بنى دارا جميلة وأثثها ثم سلمها لوكلائها هناك، وفي مستغانم بنى قصرا جميلا [2].

وعليه فان الباي محمد الكبير أنجز أعمالا عمرانية عديدة في مجال التشييد والبناء، جعلت منه شخصية قوية دعمت النظام التركي في الجزائر وبالخصوص في بايلك الغرب .

2- خدمـاته الثقافية:

تميزت الحياة الثقافية ببايلك الغرب قبل وصول الباي محمد الكبير إلى الحكم بالخمول والجمود، ذلك أن اهتمام الناس آنذاك كان منصبا بالدرجة الأولى على التجارة باعتبارها أن كانت تدر عليهم أموالا طائلة، زيادة على هذا، فلقد كان التعليم بحواضر البايلك تنقصه وسائل التشجيع والتنشيط المعنوي والمادي الذي وجد في عهد الباي محمد الكبير، بحيث قام بتشجيع الثقافة وتنشيطها والاهتمام بأعلامها وفقهائها ومفكريها[3].

أما عن الحركة العلمية في بايلك الغرب خلال القرن الثامن عشر ميلادي، فهي من أهم مميزات عصر الباي محمد الكبير، هذا الأخير الذي نشأ نشأة علمية ودينية وولع بالآداب والفنون، ولم يقتصر نشاطه العلمي والثقافي على قراءاته الشخصية واقتناء الكتب النادرة ومصاحبة العلماء والأدباء والشعراء، وتشجيعه لهم في داخل بلاده وخارجها، بل يعود

[1] ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 295 .
[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
[3] بوجلال قدور، المرجع السابق، ص140.

إليه الفضل في الحركة التعليمية الكبرى التي قامت في عهده وتحت رعايته الشخصية والتي نتج عنها ازدهار الحياة الفكرية [1].

وتشجيعا منه للحركة العلمية قام بإرسال بعثات علمية للشرق خاصة الأزهر، وكان يمد العلماء سنويا بإعانات[2]، وهذا دليل على رغبته في تكوين علماء ذوي مستوى عال، ولم يقتصر اهتمامه وتكريمه لعلماء الجزائر فقط، بل تجاوزت علاقاته الثقافية الحدود الجغرافية للبلاد، حيث كان يرسل الهدايا للعلماء المشهورين مثل العالم المصري الشهير أبو لفيض المرتضى الزبيدي صاحب " تاج العروس في شرح القاموس " [3]، كما أكرم العالم المغربي الزياني (1743 – 1833) صاحب الترجمانة الكبرى، وذلك عندما نزل بوهران، فربما يكون هذا من باب الاحترام أو من اجل جلبهم إلى بايلكه للاستفادة من علمهم [4].

شاعت حركة النسخ والتأليف في الجزائر قبل وأثناء العهد العثماني، ويعد الباي محمد الكبير من أشهر البايات الذين شجعوا هذا العمل الثقافي الجاد، إذ أمر باختصار الكتب المطولة، ونسخ المخطوطات النادرة النفيسة، وبعث التأليف في علوم شتى حتى أنه كان يقترح المواضيع أحيانا [5]، كما أمر ابن رقية التلمساني بتدوين أحداث حملة أوريلي على الجزائر عام (1189 هـ – 1775 مـ)، فألف الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة [6].

---

[1] بوجلال قدور، المرجع السابق، ص 143 .

[2] معمر رشيدة شذري، العلماء وعلاقتهم بالسلطة العثمانية فترة الدايات، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص137.

[3] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1980، ص 149 .

[4] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 21 .

[5] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 31 .

[6] ابن رقية التلمساني، الزهرة النائرة في ما جرى في الجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة، نشره سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، العدد 3، الجزائر، يوليو 1967، ص 3.

كما قام بتكريم القائمين بذلك من الطلبة الأكفاء وكتابه الخصوصيين وعلمائه النزهاء، إذ كان يجيز كل واحد منهم بسخاء حسب عمله وجهده، وفي هذا السياق كتب ابن سحنون الراشدي: " وكم من تأليف نشأ بأمره ونال مؤلفه به وافر بره "، وكتب أيضا: " كان يشتري كتبه بالثمن البالغ ويستكثر منها ويستنسخ ما لم تسمح نفس مالكه ببيعه " [1].

يعتبر الوقف أو الحبوس من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية والقيم الأصلية، إذ يندرج ضمن الصدقات الجارية بإجماع الفقهاء والعلماء المسلمين فهو يعبر أساسا عن إرادة الخير والتضامن عند الإنسان المسلم[2]، وقد انتشر الوقف بالجزائر العثمانية عبر حواضرها وأريافها وشمل الأملاك العقارية مثل الأراضي الزراعية، البساتين، الحدائق، الدكاكين ...إلى غير ذلك[3].

لقد أظهر الباي محمد الكبير أولوية بالوقف في مشروعه الثقافي لان ذلك يعني استمرار دور المؤسسات التعليمية القائمة وتفعيل نشاط الطلبة والمدرسين، فقد ذكر ابن سحنون الراشدي أن الباي محمد الكبير أوقف أوقافا كثيرة على الجامع الأعظم بمعسكر بما في ذلك الحمام الرائق بناء وشكلا، حدائق، دور، حوانيت وفرنا، وأوقف عليه أيضا خزانة كتب بنى لها بيتا بجوار الجامع .[4]

[1] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 31 .

[2] يوسف أمير، << اسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر (1671– 1830) >>، مجلة الدراسات التاريخية، العدد الرابع عشر، الجزائر، 1433 هـ – 2012 م، ص 165 .

[3] علي سنوسي والطالب عبد الفتاح داودي، << الوقف وضوابطه وتطوره التاريخي بالجزائر>> ، مجلة التراث، العدد السابع عشر، 2015، ص 130 .

[4] أحمد مريوش، المرجع السابق، ص ص 28 – 29 .

ولعل فكرة إحياء الرباطات الطلابية [1] في حد ذاتها تشهد بمدى حنكة هذا الرجل، فقد أدت فكرة الرباطات دورا هاما في العمليات الجهادية ضد الاسبان من خلال تعبئة الناس ونشر ثقافة الجهاد والتضحية، وقبل هذا ساهمت في إحياء وتشجيع الإقبال على طلب العلم، خاصة وأن الباي محمد الكبير كان يشرف بنفسه على سير هذه الرباطات، ومن جملة من التحق بالرباط العالم محمد بن علي أبو طالب المازوني على رأس مائتي طالب[2].

إذن سجل الباي محمد الكبير في تاريخه إصلاحا ثقافيا كانت غايته الأسمى إعادة بعث الشريعة الإسلامية الصحيحة والسليمة ونبذ الخرافات والأباطيل .

3- خدمـاته الاجتماعية:

من مآثر الباي محمد الكبير في الجانب الاجتماعي، هي اعتناءه بالفقراء والمساكين وسائر المحتاجين خاصة أيام المجاعة فقد قام بالقضاء على المجاعة باختزان الحبوب وقت حصادها وتوزيعها على المحتاجين عند الحاجة، وكان طباخو قصره بمعسكر رهن إشارة الفقراء والجائعين، وكان يوزع بنفسه الألبسة على الفقراء من الرعية، لاسيما وقت الشتاء، كما كان يداوي بنفسه المرضى والمساكين وسائر المحتاجين ويتألم لآلامهم، ويوزع الأموال عليهم وعلى الطلبة في كل مناسبة عيد، وكان يبعث في كل سنة هدايا ثمينة للحرمين الشريفين [3].

حدث في عهده الطاعون العظيم الذي لم يحدث قط إلى أن مات الكثير من الناس بدوا وحضرا، وآل به الأمر إلى أن انتقل أهل الحضر والباي بأهله [4] وحاشيته إلى بلاد أولاد

---

[1] الرباطات الطلابية: إحتلت الصدارة بين المراكز الثقافية من ناحية تثقيف المعوزين والفقراء، وحظيت هذه الرباطات باهتمام وعناية كل طرف من المجتمع بما في ذلك ممثلي السلطة، للمزيد أنظر: صالح محمد السيد، <<المراكز الثقافية في دار السلطان (الجزائر) أواخر العصر التركي>> ، مجلة أمارابك، مجلد 4، العدد السابع، 2013، ص 27 .

[2] محمد مقصودة، المرجع السابق، ص 187 .

[3] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 25 .

[4] ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 297 .

سليمان أحد بطون بني عامر [1]، فنصب له هناك خيمة حمراء من الوبر ليسكن فيها، فجعل خدما في دائرة خيامه، وعين آخرين لحمل أثقاله [2]، فأطلق على هؤلاء تسمية الزمالة [3] .

وعليه فان الباي محمد الكبير قدم بحق خدمات اجتماعية استطاع من خلالها مد يد المساعدة والعون للغير، وأظهر من خلالها قيمه ومبادئه الإنسانية المستمدة من الشريعة الإسلامية .

ثالثا: سياسته في المجال الاقتصادي وأهم انجازاته في الميدان العسكري

1-سياسته في مجال الاقتصاد:

لقد تميز الباي محمد الكبير بحسن إدارته وسياسته خلال الأزمات، وفي هذا الصدد أنشأ الباي محمد الكبير المطامير العامة في كل جهة لخزن القمح الاحتياطي كل سنة حتى يتقي أخطار الجدب والمجاعات، وكان إذا اشتد البلاء والغلاء بالناس يفتح أبواب قصره في وجه المحتاجين[4] .

أنجز للناس أعمالا عمرانية كثيرة خاصة في مجال البناء وشق الطرقات والقنوات، فوفر بذلك فرص العمل والكسب الحلال، كما وضع سياسته الاقتصادية للقضاء على الاحتكار والغلاء، فكان يعين الخلائق بالسلف ، وأكبر من ذلك فانه كان يسأل عن سعر

[1] قبيلة بني عامر: نسبة إلى جدهم الأول عامر بن صعصعة هم قبيلة من قبائل العرب، قدموا إلى الشمال الإفريقي ضمن الزحف الهلالي سنة (442 هـ / 1050 م) في عهد الفاطميين، استقروا في ضواحي مستغانم وكان لهم نفوذ . أنظر: عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبان من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1390، ص8.

[2] محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج2، مجلد 1، ط 2، اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1964، ص 217 .

[3] الزمالة: تعني كلمة الزمالة المخزن الثابت من الفرسان والمخيم الدال على التنقل والترحال تتكون من فرسان المخزن وعلى رأسهم قائد الزمالة، تساعد الباي في مهامه المختلفة (جمع الضرائب، إخماد الثورات ...). أنظر:
E.vayssets, histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837, présentation d'ourdasiaritengour, Ed , bouchène, paris, 2002, p123.

[4] ابن سحنون الراشدي، المصدر السابق،ص ص 135-136.

السوق فيبيع زرعه بأبخس منه خوفا من زيادة السعر، فإذا انخفض سعر السوق إلى سعره، نزل هو بسعره، وهكذا أوجب نفسه البيع في كل بلد على هذا الوجه حتى نزل القحط فشملت بذلك صدقته الغني والفقير والقريب والبعيد [1].

ويذكر صاحب الثغر الجماني أن الناس في دار السلطان كانوا ينتظرون بفارغ الصبر وقت قدوم الباي محمد الكبير عليهم لدفع الدنوش[2] كل ثلاث سنوات، فكان مجموع ما يدفعه لبيت المال دون الهدايا والتبرعات، مائة ألف سلطاني ذهبا، ويوزع مثلها على الشعب، هذا زيادة على ما يدفعه من بيع الحيوانات والحبوب والأقوات، وعدد من العبيد والخيول المسومة إلى ذوي الوظائف السامية، لما كان يعطي مالا كثيرا لخدام المساجد [3].

2- من أهم انجازاته في الميدان العسكري:

•تحرير وهران:

شهد عهد الباي محمد الكبير أعمالا وانجازات تجاوزت أهميتها ونتائجها حدود بايلك الغرب الذي كان يحكمه لتشمل كامل الإيالة، ولعل أهم هذه الانجازات هي محاربة الاسبان المحتلين لوهران والتضييق عليهم إلى أن تم فتحها في 29 فبراير 1792

[1] أحمد ابن سحنون الراشدي، المرجع السابق، ص ص 135 – 136 .

[2] الدنوش: هي الهدايا والأموال التي يحملها الباي أثناء زيارته السنوية للداي . أنظر: نجاة العجال، الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518 – 1830، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2013 – 2014، ص 19 .

[3] المساجد من المنشآت العمرانية التي لا تخلو أي مدينة من المدن الإسلامية منها، وهي تعتبر مكانا للعبادة والتعليم، وغالبا ما تنسب إلى مؤسسيها من السياسيين والتجار والعسكريين. للمزيد أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 245 .

كان الاسبان قد استولوا على المرسى الكبير [1]، سنة 1505 ثم وهران سنة 1509، ومنذ ذلك الحين أصبح استرداد هذا الثغر الاستراتيجي واجبا سعى لحيازته كل الحكام العثمانيين الذين تداولوا على السلطة سواء على المستوى المركزي أو المحلي، وقد مكث الاسبان في وهران وأقاموا الحصون وثبتوا أقدامهم داخلها وأصبحت مركزا لهم ينطلقون منه للنهب والسلب[2].

في عهد الداي محمد بكداش باشا [3] (1119 هـ / 1708 م) تولى مصطفى بن يوسف بوشلاغم المسراتي بايلك الغرب سنة 1686 وأعد محاولات لتحرير وهران والاستعداد لتحقيق ما فشل فيه غيره، وساعده محمد بكداش لتحقيق ذلك، وتم تحرير وهران ويسمى هذا بالفتح الأول لوهران في 20 جانفي 1708، وعلى اثر هذا الانتصار نقلت عاصمة البايلك من معسكر إلى وهران، لكن الاسبان أعادوا احتلال وهران سنة 1732 [4]، وقيل أن سياسة الباي بوشلاغم كانت أحد العوامل الداخلية المساعدة في سقوط المدينة مرة ثانية بيد الاسبان، إذ أنه مارس في حكمه سياسة التعسف والاضطهاد والاغتيال، فضلا عن عدم الاهتمام بتحصين مدينة وهران .

[1] المرسى الكبير بناه الرومان على هيئة قلعة على ساحل البحر المتوسط على فرسخ واحد من وهران من جهة الغرب مرساه أجمل مراسي إفريقيا وأعظمها، كانت ترسو به السفن القادمة من البندقية . انظر مارمول كربخال، المصدر السابق، ص 327 .

[2] دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية (1509 – 1792)، رسالة لنيل شهادة الماجستر في التاريخ الحديث، قسم التاريخ وعلم الآثار، وهران، 2013 – 2014، ص ص 150 – 151 .

[3] محمد بكداش باشا: تركي الأصل والمنشأ، عالم فقيه، ماهر في علم اللسان، تولى الحكم سنة 1608، حارب الاسبان في وهران . أنظر أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا (1492هـ / 1792 م) الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 453 .

[4] جمال الدين سهيل، <<ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11 هـ – 17 م>>، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 13، غرداية، 2011، ص ص 150 – 151 .

بمجرد تسلم الباي محمد الكبير مقاليد حكم بايلك الغرب فكر في وجوب استعادة المدينة المسلوبة، وقد وجد نفس الحماسة لدى الداي عثمان الذي أذن له بذلك، وحسب الزياني فان الداي محمد عثمان هو من أمر الباي محمد الكبير بالتحرك لفتح وهران ..[1]

كان من استعدادات الباي محمد الكبير لفتح وهران أن أحيا الرباطات الطلابية وذلك عن طريق الاتفاق مع العلماء على جمع الطلبة والقراء بجبل المائدة، ليثبطوا همة الاسبانيين ويحولوا بينهم وبين المدد الخارجي[2].

مرت عملية فتح وهران بعدة مراحل ابتداء من سنة 1780، فقد غزا الباي محمد الكبير المدينة في نفس السنة ثم كرر المحاولة سنة 1784، دون أن يوفق في فتحها، وفي المقابل شن الإسبان حملات عسكرية على مدينة الجزائر لكنها لم تحقق أي نتائج [3]، وفي 26 أوت 1786 وقع الطرفين الاسباني والجزائري اتفاقية سلام نصت على إيقاف القرصنة وإمكانية دخول التجار الإسبان إلى الموانئ الجزائرية والعكس، وكان أهم بند هو جلاء الإسبان عن وهران والمرسى الكبير، لكن الإسبان ماطلوا للحصول على المزيد من الامتيازات التجارية [4].

وفي هذه المرة ضرب الباي محمد الكبير حصارا خانقا على وهران ضيق فيه على الاسبان، وكان ينظم من حين لآخر هجمات متفرقة على مواقع الجنود الاسبان، بدأ الهجوم واشتد القتال في برج العين وحصلت النصرة للعرب بأخذه، ولكن نزعه منهم الاسبان بسبب تفريطهم .

وفي أثناء استعداد محمد الكبير للهجوم على مدينة وهران، إذ بزلزلة شديدة حركت المدينة من أقصاها، فتهدمت معظم بناياتها ولقي عدد كبير من السكان حتفهم، وكان هذا

[1] محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 268 .

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 1، المرجع السابق، ص 149 .

[3] دغموش كاميلية، المرجع السابق، ص 150 .

[4] بن عتو بلبروات، <<الداي محمد عثمان باشا وسياسته>>، مجلة عصور مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، مصادر وتراجم، العدد 6 – 7، 2005، ص 86 .

الزلزال حافزا استعجاليا للباي[1]، فتحرك نحو وهران وبعد هجومات متوالية على أسوار المدينة قرر الباي أن يبقي جيشه هناك محاصرا للبلاد، وقد استطاع الطلبة المرابطون أن يضعوا حدا للغارات التي كان يشنها بعض المتعاونين مع الإسبان من قبيلة بني عامر، ولم يرفع الحصار إلا بعد التوصل إلى اتفاق صلح بين داي الجزائر وملك الإسبان [2] .

كان من أهم بنوده هو أن يتخلى الإسبان عن وهران والمرسى الكبير ليتم بعد ذلك تحرير هذا الثغر الاستراتيجي، وبعد انتهاء الجلاء دخل العثمانيون إلى المدينة في يوم 14 رجب 1206 هـ الموافق ل29 فيفري 1792 م يتقدمهم الباي والعلماء [3]، وقد نقل الباي محمد الكبير مقر حكمه إلى مدينة وهران واتخذها عاصمة لبايلك الغرب، ودخل الناس إليها وعمروها وبنيت فيها المساجد [4] ، وعليه فان الباي محمد الكبير تمكن من إحراز النصر وتحرير وهران واسترجاعها من أيدي الإسبان، وذلك بفضل جهوده التي بذلها في سبيل إنشاء الرباطات وتعبئتها للجيش بكسب تأييد العلماء والعامة.

3- وفـاته:

توفي الباي محمد الكبير بعد سنوات من فتح وهران في ذو القعدة [5] 1213 هـ، لقد روى الحاج الشريف الزهار قصة وفاته، بعد استعادة وهران بأيام سار محمد الكبير إلى الجزائر ليدنش، فلما أكمل أيام الضيافة، بعد الثمانية خرج من الجزائر مكرما على أحسن حال، فلما وصل إلى السائح بين خضرة كبير أولاد قصير، وهي قبيلة كبيرة قريبة من مازونة

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص 171

[2] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 23.

[3] بن العيفاوي علي، << أثر البعد الروحي في فتح مدينة وهران سنة 1792>> ، مجلة التراث، العدد الثاني عشر، فبراير 2014، الجلفة، ص ص 105-106.

[4] أحمد الشرف الزهار، المرجع السابق، ص62.

[5] Henri léonfey, histoire d'Oran, la domination espagnole, typographie Adolphe perrierédîteur, 1858 , p 257 .

توفي الباي هناك، ولقد قيل في موت الباي محمد أن حسن باشا بعث إليه من سقاه سما، وقيل مات فجأة لأنه مات من غير مرض[1].

ولما وصل خبر موته لأهل مدينة الجزائر بعث رؤسائهم لابنه عثمان، وهو أكبر أولاده بالمملكة، فركب عجلا وسار حثيثا إليهم بعدما بعث أباه لوهران [2]، وأوصى بدفنه بالمدرسة بالموضع المسمى بخنق النطاح [3] .

[1] أحمد الشريف الزهار، مذكرات أحمد الشريف الزهار، المصدر السابق، ص 62.

[2] محمد بن يوسف الزياني، المصدر السابق، ص 268.

[3] ابن عودة المزاري، المصدر السابق، ص 297 .

الفصل الثاني

التعريف بصالح باي

أولا: نشأتـــــــــــه

ثانيا: منشآته العمرانية، خدماته الثقافية والاقتصادية.

ثالثا: أعماله الحربية ونهايــته

أولا: نشأتـــــــــــه

1-مولد صالح بـــاي:

ولد صالح باي بمدينة أزمير [1]، غرب الأناضول سنة (1137هـ/1725م) لأب يدعى مصطفى كان ينتمي إلى أسرة متوسطة الحال [2]، عاش سنواته الأولى بصفة عادية، وفي عام 1755م تسبب في مقتل أحد أقربائه خطأ، وحتى يتفادى العقاب أرغم على الفرار من بيته وبلده وعمره لا يتجاوز ستة عشرة سنة، وخاض مغامرات البحر، نزل بميناء مدينة الجزائر، مقر الداي ومركز الإيالة الجزائرية [3].

بعد استقراره في مدينة الجزائر، عمل صالح باي بمقهى الأوجاق[4]، وكان يساعد صاحب هذا المقهى، ولعله اضطر إلى مثل هذا العمل نظرا لصغر سنه وعدم خبرته بالحياة ولجهله بأوضاع البلاد، وعلى كل فان عملا كهذا رغم تواضعه سمح له بأن يتعرف على واقع الجزائر، ويطلع على طبيعة الحكم وأسلوب الإدارة السائد بالجزائر آنذاك [5].

فضلا على أن هذا العمل كان مناسبة تعرف من خلالها صالح باي على بعض ضباط الأوجاق، الذين لم يبخلوا بمساندته فيما بعد للحصول على إذن من مجلس الديوان

---

[1] أزمير: مدينة تقع في غرب شبه جزيرة آسيا الصغرى بالأناضول، نسبة إلى سميرن وهي اسم لإمرأة من محاربات القوقاز. أنظر: س. موستراس، المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق عصام الشحادات ، دار حزم، ص ص 53، 52.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 288.

[3] محمد الصالح بن العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 75.

[4] الوجق: مصطلح تركي له عدة معان، فهو كل ماتنفخ وتشتعل فيه النار من طين أو قرميد أو حديد ثم أطلق على الجماعة التي يلتقي أفرادها في مكان واحد ثم أطلق على مجتمع أرباب الحرف ثم أطلق على الصنف من الجند كالسباهين. أنظر: محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، 1990، ص154.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 288

ويسمح له بالانخراط في فرقة الأوجاق ، والالتحاق بعد ذلك بحملة الشرق في جمع الضرائب من الأرياف [1]، وعليه فإن صالح باي عاش طفولة قاسية، ساهمت بشكل كبير في إبراز شخصيته القيادية.

2- توليته الحكـــم:

بدأت شخصية صالح باي تبرز في مدينة قسنطينة، حيث أظهر مهارته الحربية وكفاءته التنظيمية ومقدرته الإدارية، مما جعل أحد قادة جيش البايلك وهو أحمد القلي [2] يشيد به، وقدر فيه تلك الخصال العسكرية التي شهد له بها العديد أثناء الحملة التي شنها الباي زرق عينه ضد تونس، ومرافقته لأحمد القلي في مهامه عندما كان هذا الأخير مسؤولا عن البريد (باش سيار)[3].

وبعد وفاة زرق عينه عين القلي على رأس بايلك الشرق، وتوطدت العلاقة بينه وبين صالح باي وأصبح مساعده ورفيقه، وأصبح في الواجهة بجانب الباي الجديد، وهكذا استمر مسار صالح بن مصطفى في الرقي نحو المراتب العليا، وذلك باحتكاكه بالباي حاكم شرق البلاد، وقد تميز بمهارته العسكرية وحسن تدبيره في الحملات الموسمية للمحلة [4]، وفي المعارك ضد بايات تونس، حيث تقلد المناصب الواحدة تلوى الأخرى، وهذا ما ذكره صاحب أم الحواضر في قوله: "وكانت عادة الترك في سابق زمانهم أنه لا يرتقي لوظيفة الباي سوى

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث...، المرجع السابق، ص 288.

[2] أحمد القلي، حكم ما بين (1170-1185هـ/1756-1771م) وكان آغا على مدينة القل عدة سنوات فلقب بالقلي، وقد استطاع فرض السيطرة ، وعرف بغزواته ضد القبائل الكبرى في جويلية 1757 .أنظر: ERNEST. MERCIER , Histoire de Constantine , Marle et F.biron , Imprimeurs ,éditeurs51 ,constantine , 1903, p266.

[3] سهر ماهود محمد، الموظفون العثمانيون في ايالة الجزائر << دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية>>، مجلة التراث العلمي العربي، العدد الثاني، بغداد، 2015، ص 396.

[4] المحلة: فرقة من الجيش تخرج فصليا تساعد القادة على جمع الضرائب .أنظر: عميراوي احميدة، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 2002، ص 4.

المعروف بالحروب والشجاعة وحسن التدبير والسياسة، وبذلك كان أمرهم في الزيادة والاستقامة..."[1]

عززت أواصر الصداقة بين أحمد القلي وصالح باي حتى أنه زوجه ابنته وولاه قيادة الحراكتة، هذه القيادة التي كانت تسند عادة إلى أهم شخصية بالبايلك بعد الباي، وذلك لمدة ثلاث سنوات، ثم رقاه لمنصب خليفة الباي سنة 1765 لمدة ستة سنوات، فأثبت قدراته في تسيير شؤون الرعية، إضافة إلى أن احترامه لأوامر الباي ومراعاة مصالحه، جعل أحمد القلي يقترحه خلفا له[2].

وبعد تولي الداي محمد عثمان باشا (1766-1791) الحكم عينه بايا على قسنطينة[3] سنة 1771م بعد وفاة أحمد باي القلي، وحسنت أيامه وبلغ ما لم يبلغه من هو أكبر منه من ولاة الجزائر وولاة تونس [4]، ولقد كان عمره حينذاك 46 سنة.

3- خصاله:

لقد أشاد صالح العنتري بخصال صالح باي، فوصفه بأنه رجل عاقل له سيرة مليحة مستحسنة حميدة يسمع كلام الشاكين وينصر المظلومين [5]، كانت فترة حكمه فترة نشطة وحيوية، فقد مثل صالح باي مسارا فذا، عاديا وخارقا في الوقت نفسه، جمع بين المواصفات العثمانية للانكشاري النموذجي وبين الصورة التقليدية للزعيم ، اشتهر بالتحكيم وكان صارما

[1] محمد المهدي علي شعيب، أم الحواضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980، ص 374.

[2] أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا داي الجزائر، المرجع السابق، ص 133.

[3] مدينة قسنطينة: هي مدينة سرت القديمة، وهي تقع على نهر يسمى الرمال على مسافة نحو أربعين ميلا من البحر، وموقع قسنطينة من أعظم المواقع التي يتصورها الإنسان .انظر: محمد علي البروسوي، أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواخية، دار الغرب الإسلامي، ص519.للمزيد انظر، وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص36

[4] الحاج أحمد بن المبارك العطار، تاريخ قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011، ص 138

[5] صالح العنتري، المصدر السابق، ص75.

في مواقفه قاسيا في أحكامه[1]، فقد ذاع صيته في مختلف أنحاء البلاد وكان عصره في الناحية الشرقية عصر نهضة ورخاء وانتعاش، وأصبح يدير أمور بايلكه وكأنه الملك المستقل فيها، حيث قال عنه شارل فيرو: " الحاكم الأكثر لفتا للانتباه بين حكام قسنطينة كان نشيطا ومحاربا وإداريا"[2].

ثانيا: منشآته العمرانية ،خدماته الثقافية والاقتصادية.

1-منشآته العمرانية.

اهتم صالح باي بالجانب العمراني، وعمل على تجميل مدينة قسنطينة وتنظيم أحيائها وتشييد بعض المعالم العمرانية بها، ومن جملة ما أنشأ في هذا المجال نذكر:

●حي سيدي الكتاني:

بادر صالح باي بتجميل حي سيدي الكتاني الذي أنشأ به مسجدا ومدرسة سنة 1776، وأقام بالقرب منها منازله الخاصة التي امتازت بالسعة والضخامة، وبجانبها شيد بيوتا لتقيم بها حاشيته، ومنها خدمه الايطاليون وجراحه الخاص، ويتصل بهذه المجموعة من المباني البساتين ،الإسطبلات والحمام الخاص به، وقد أكمل هذه المجموعة من البنايات بإقامة العديد من الدكاكين [3] التي تحيط بسوق الجمعة [4].

[1]CHARLES. FERAUD, << les Bendjellab sultans de Touggourt>>, in, R.A, N°24,1879, p109.

[2] فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 88.

[3] جميلة معاشي، الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية بقسنطينة من خلال سجل من مراسلات لجنة الشؤون الدينية (1885-1904)، منشورات بونة للبحث والدراسات، عنابة، 2012، ص 77.

[4] سوق الجمعة: يقع في طرف مدينة قسنطينة العامر في اتجاه الجرف نحو الشمال الغربي، وقد كان أكبر وأشهر من سوق العصر. للمزيد أنظر: فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005، ص 72.

- **تعمير ناحية الشارع:** حومة الشارع أو "شارع الذميين" كما يسمى، هو أبعد حي في اتجاه الغرب نحو الجرف والوادي، ويقع الشارع [1]بين باب القنطرة [2] جنوبا وسوق الجمعة شمالا، وقد وصف الشارع قبل أن يمسه عمران صالح باي بأنه حقير المنظر كئيب، لا توجد في أسفله سوى بعض الدور الفقيرة المتواضعة، والباقي كله خال لا تعثر فيه سوى على حفرة أو ربوة، ولأن منظر هذا الشارع لا يتناسب مع البنايات الفاخرة التي أحدثها صالح باي [3]، قام هذا الأخير ببناء منطقة الشارع وشجع اليهود على الاستقرار به وأقاموا دكاكينهم، وبنى فيها أيضا فندقا ومقها وعددا من المنازل الجميلة [4].

وبذلك تمكن صالح باي من وضع حد لمضايقة اليهود التي نتجت عن اختلاطهم بالمسلمين بحومة الجابية وحي سيدي الكتاني، فضلا على أن تجميع اليهود في حي خاص بهم يسهل على إدارة البايلك مراقبتهم والتحكم في نشاطهم، وبهذا الإجراء أعاد صالح باي النشاط إلى جزء من المدينة ظل شبه مهجور، وأصبحت هذه الجهة من المدينة التي تعرف برحبة الصوف مركزا تجاريا مهما [5]، وأضفى عليها نشاطا وحيوية لم تعهدها مدينة قسنطينة من قبل.

- **مسجد سيدي الكتاني:** شيد مسجد سيدي الكتاني في عهد صالح باي سنة 1776 [6]، يقع بالجهة الشمالية من المدينة أسفل القصبة بجوار سوق الجمعة ومن جهة الغرب على نهج

---

[1] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، المرجع السابق، ص 77.

[2] باب القنطرة: يقع في شرق مدينة قسنطينة يتجه نحو الجنوب الغربي عبر جسر حجري، بني منذ زمن طويل. أنظر: فندلين شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007، ص 73.

[3] فاطمة الزهراء قشي، المرجع السابق، ص 77.

[4] عبد الحفيظ بورابو، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة ماجستير في الآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 142.

[5] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008، ص 246.

[6] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 258

الموفوف، ومن جهة الجنوب الشرقي نهج بوهالي العيد، ويعتبر هذا المسجد من بين أهم المعالم الموجودة في مدينة قسنطينة، وقد سمي نسبة للولي الشيخ سيدي الكتاني الذي بني المسجد فوق ضريحه، ويتميز جامع سيدي الكتاني بشكله المستطيل ويتكون من طابقين ويضم أعمدة رخامية، جلبت مواد بنائه من ايطاليا[1].

من أبرز لواحقه الكتاتيب القرآنية، [2] وكذلك الزوايا التي كانت تستخدم للطلبة والغرباء، وقد ضم المسجد مجموعة من الموظفين من بينهم الوكيل، الخطيب، الإمام، المدرس، المؤذن و بعض القراء، وكانت لهم مرتبات خاصة من الوقف [3].

•مدرسة سيدي لخضر:

أنشأها صالح باي سنة 1789 [4]، ووضع لها نظاما خاصا، تشمل المدرسة مسجدا وخمسة من البيوت منها بيت للمدرس وأربعة للطلبة ومائضة وبيت لوضع الأمتعة، وعين وكيل للمدرسة يقف على مداخيلها ومصاريفها، كما وضع لهذه المدرسة شروط معينة للالتحاق بها ومنها نذكر:

- لا يقبل الطالب الذي لا يحفظ القرآن الكريم.
- النوم في المدرسة ولا خروج إلا للضرورة [5].

---

[1] كمال غربي، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص 103.

[2] الكتاتيب القرآنية: مراكز صغيرة نسبيا، غالبا ماتتضمن حجرة أوحجرتين مهمتها الأساسية تتمثل في تحفيظ القرآن الكريم للصبيان، وقد تكون ملحقة بمسجد كبير. أنظر، مختارية تراري، <<التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة>>، مجلة انسانيات مركز البحث في الأنتروبولوجيا، العدد 14-15، وهران، ص60.

[3] راوية جريدي، أمينة خزري، فاطمة الزهراء كرميش، الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر تخصص تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015، ص 46.

[4] عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 278.

[5] راوية جريدي، أمينة خزري، فاطمة الزهراء كرميش، المرجع السابق، ص 46.

-إذا درس الطالب في المدرسة ولم يظهر براعته في ذلك العلم خلال عشر سنوات فانه يفصل [1].

ومن بين خريجي هذه المدرسة عبد القادر الراشدي [2] المفتي الحنفي وشعبان بن جلول قاضي الحنفية والشيخ العياشي قاضي المالكية [3].

- **المدرسة الكتانية:**

تعد هذه المدرسة امتدادا لمسجد سيدي الكتاني، حيث أن الباي كان كلما بنى مسجدا إلا ويلحق به مدرسة تكون مجاورة له [4] .

أسس صالح باس مدرسة سيدي الكتاني سنة (1202هـ/1787م)، بالجانب الشرقي من الجامع المعروف بسيدي الكتاني، واشتهرت منذ تأسيسها باسم المدرسة الكتانية نسبة إلى ولي صالح اسمه الكتاني دفين تلك الرقعة، وذلك لما جرت عليه العادة في ذلك الوقت على تسمية المساجد والمدارس والزوايا بأسماء رجال اشتهروا بالعلم تبركا ورغبة في الاقتداء بهم.

تعتبر مدرسة سيدي الكتاني إحدى روائع الفن الجزائري في العهد العثماني، تميزت بطراز معماري فريد، أراد صالح باي أن يستوعب به حاجة الطلاب [5]، فبنى لهم في المدرسة مرافق مختلفة كالميضاء وحجرة التدريس، وكذا غرف الطلبة [6]، وفيما يخص الطلبة الذين لم

---

[1] كمال غربي، المرجع السابق، ص 195.

[2] عبد القادر الراشدي: فقيه مالكي وقاضي أصله من الرواشد تولى القضاء والافتاء في قسنطينة مرارا . انظر: عادل نويهض، معجم اعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ص 145. وقال عنه الحفناوي المحقق المجتهد، قرأ في وقته وعضد زمانه نسب للرواشد من مداشرفرجيوة غرب قسنطينة، للمزيد أنظر، أبو القاسم الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، 1985، ص 212.

[3] راوية جريدي، أمينة خزري، فاطمة الزهراء كرميش، المرجع السابق، ص 46.

[4] محمد السعيد قاصري، << المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان>> ، مجلة سرتا، العدد 18، الجزائر، أوت 2015، ص 156.

[5] طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص ص67-68.

[6] طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 70.

يكونوا قادرين على السكن بالمدرسة أو بغيرها من المدارس الأخرى، ويأتون من القرى والأرياف المجاورة لقسنطينة، فقد وفر لهم الإقامة في المدينة عند العائلات القسنطينية الكبيرة[1] مثل عائلة الفكون[2] وابن جلول [3]...وغيرهما.

وقد استحدث صالح باي نظاما دراسيا دقيقا يسير على ضوئه المدرسون والطلبة ويتقيد به العاملون في حقل التدريس وأماكن العبادة، [4] ومن بين العلوم التي كانت تدرس في المدارس بقسنطينة (التفسير، القراءات و الحديث، ...الخ) [5].

وفيما يخص المدرسة الكتانية فقد ضمت إلى أملاك الدولة بعد الاحتلال الفرنسي لقسنطينة، على أساس أنها من أملاك الباي الخاصة ولا تعتبر وقفا عاما وتوقف بها كل نشاط تعليمي وثقافي[6]، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاستحواذ والمصادرة بغية التحكم في نشاطات المدرسة وتأثيرها.

[1] محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص157.

[2] الفكون: من أبرز أفراد العائلة علما وعملا وسمعة ففي عهده بلغت عائلة الفكون أوج قوتها المادية والمعنوية، كما أصبحت تتمتع بنفوذ روحي. للمزيد أنظر: عبد الكريم الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تقديم وتحقيق وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987، ص 7.

[3] أسرة ابن جلول: وهي من الأسر الكبيرة بمدينة قسنطينة وقد كانت لها زاوية عرفت باسمها زاوية أولاد جلول وهي أكبر أسرة توارثت خطة القضاء الحنفي، ارتبطت بعلاقة متينة مع صالح باي .للمزيد أنظر: فوزية لزغم، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها السياسي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران، 2013-2014، ص 171.

[4] محمد السعيد قاصري، المرجع السابق، ص 157.

[5] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص12.

[6] طاهري عبد الحليم، المرجع السابق، ص 70.

•إصلاح جسر قسنطينة:

اهتم صالح باي بإصلاح جسر القنطرة، واستقدم لأجل ذلك مهندسا اسبانيا [1]، وكلفه بمعاينة وتقرير ما يمكن عمله لإصلاح الجسر ودعمه، وتم الاتفاق على استعمال المواد المحلية بدلا من المستوردة التي تكلف نفقات باهضة [2].

لقد كان هدف صالح باي من وراء تشييد هذا الجسر ربط المواصلات بين قسنطينة والنواحي الشرقية للبايلك، وذلك بجعل قسنطينة منطلق الطرق الشرقية والجنوبية الشرقية التي كانت تسلكها الحملات العسكرية والقوافل التجارية، وكذلك تسهيل جلب المياه الصالحة للشرب، لكي لا يضطر السكان إلى حمل الماء من أسفل الوادي عبر باب الجابية [3].

وقد حظيت المنشآت العمرانية التي أقامها صالح باي بتنويه الشعراء، فالمدارس والمساجد ونحوها اعتبرها الشعراء دليلا على اهتمام الولاة بالشعب والمصالح العامة، رغم أن صالح باي كان يعمل دون أن يقرب فئة الشعراء منه إلا أن أحد الشعراء المجهولين قد كتب قطعة نقشت على اللوحة التي وضعت عند مدخل المدرسة الكتانية [4]،على حد ذكر سعودي يمينة.

2- خدماته الثقافية:

عرفت الجزائر في العهد العثماني ركودا ثقافيا، مقارنة بالنهضة العلمية التي شهدتها الدول الأوروبية، إلا أنه كانت هناك حركات تجديدية فكرية منبعثة من علماء جزائريين،

---

[1] A.BERBRUGGER, <<Province de Constantine , les anciens établissement religieux musulmans de Constantine>>, in R.A,N:° 12 , année 1868 , p 132.

[2] محمد الصالح بن العنتري، المصدر السابق، ص 65.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث، المرجع السابق، ص 294.

[4] سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 120.

تركوا بصماتهم في حفظ التراث الجزائري الإسلامي، وفي استمرار عمارة المساجد والزوايا والمكتبات والكتاتيب[1].

وعلى الرغم من عدم اهتمام الدولة العثمانية بالجانب العلمي، فان الحركة العلمية لم تتعطل ومدينة قسنطينة قد حافظت على تراثها الفكري والثقافي [2]، وقد تحدث الورتلاني[3] عن وضعية التعليم بمدينة قسنطينة وأشار إلى إهمال الحكومة التركية حيث قال: "أن المدارس كانت من اهتمام الخاصة نظرا لحرص باياتها على العناية بالقلاع والحصون، ومع ذلك فهي لا تخلو من العلم [4]، وهذا تأكيد على انتشار التعليم رغم اهتمام الحكومة بالجانب العسكري .

اهتم صالح باي بالمؤسسات الثقافية والأدوار التي تؤديها، ومن أجل ذلك استحدث نظاما دراسيا دقيقا يسير على ضوئه المدرسون والطلبة ويتقيد به العاملون في حقل التدريس وأماكن العبادة [5]، وبالنسبة للمواد المدرسة والعلوم المتداولة فيغلب عليها الطابع الديني [6]، أما العلوم الأخرى كالطب والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها فإنها كانت متواضعة، وهذا ما جعل القنصل الأمريكي شالر يقول عن العلوم في الجزائر: "وأما العلوم فإنها غير موجودة أو هي متى كانت موجودة محتقرة، بل إن علم الطب نفسه لا يوجد من يدعيه ...إن القرآن هو كل علوم هؤلاء القوم وآدابهم"[7].

---

[1] حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية (1659-1830)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 22.

[2] يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، ص 67.

[3] الورتلاني: نسبة إلى بني ورتلان قبيلة قرب بجاية، اشتهر بتنوع معارفه من فقه وحديث وغيرهما، طمح إلى التصوف والنصح للمزيد أنظر: الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيرفونتانا، 1908، ص أ.

[4] المصدر نفسه، ص 686.

[5] بورابو عبد الحفيظ، المرجع السابق، ص 143.

[6] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 84.

[7] أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830) أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص ص 333-334.

وقد كان لزاوية سيدي الكتاني دورا ايجابيا في نشر التعليم بجميع مستوياته [1]، فقد مثلت دور المسجد والمدرسة في آن واحد وجمعت بين التربية الروحية والعلمية [2]، وهذا ما كانت عليه معظم مدارس ومساجد تلك الفترة (العبادة والتعليم).

ومما ساعد على ديمومة النشاط التعليمي والعلمي بقسنطينة كثرة الأوقاف المخصصة للمساجد والمدارس، مما جعل التعليم فيها مجانيا استقطب الطلبة من داخل قسنطينة وضواحيها من المدن والأقاليم الأخرى [3]، وإذا كان الحديث عن الأوقاف لابد من الحديث عنها في عهد صالح باي (1771-1791) فقد قام صالح باي بتنظيم هذه الأملاك ورعايتها كحماية أوقاف المساجد والزوايا وضمان استمرار خدمتها [4]، لما وصله من تقصير وكلاء المساجد وتفريطهم في شأن العناية بالأوقاف مما أدى إلى تعطل بعض المساجد [5]، فقام صالح باي في البداية بإجراء إحصاء شامل ودقيق لكل ما يتصل بالأوقاف، والذي أشرف على هذا الإحصاء هو القاضي الحنفي الشيخ عبد القادر الراشدي، حيث تم تدوين أوقاف مساجد المدينة في دفاتر خاصة للحفاظ عليها من الضياع، وتم نقلها في أربعة نسخ متماثلة الأولى عند وكيل المال[6] ، والثانية عند شيخ البلد والثالثة عند قاضي الحنفية والرابعة عند قاضي المالكية[7].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص 267.

[2] راوية جريدي وآخرون، المرجع السابق، ص 28.

[3] الطاهر بونابي، <<ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني>>، مجلة سرتا، العدد 18، 2015، ص 120.

[4] فاطمة الزهراء قشي، سجل صالح باي للأوقاف (1185-1207هـ/1771-1792م) تصدير عبد الجليل التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 19.

[5] A.BERBRUGGER ,op.cit. ,pp 123-124.

[6] وكيل بيت المال: مهمته إعانة الفقراء والمساكين والتصرف في المواريث . للمزيد أنظر، عبد الرزاق قشوان، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة (936-1253هـ/1592-1837م)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر "2"، 2009-2010، ص 52.

[7] المهدي البوعبدلي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن (10هـ إلى13هـ)، جمع وإعداد عبد الرحمان دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013، ص 104.

كما استحدث صالح باي سجلا جمع فيه مساجد المدينة، وست سجلات يخص كل منها مسجدا أو جامعا أو زاوية وسمي سجل صالح باي للأوقاف، وقد ساهم في إظهار المخطط العمراني للأمكنة التي بنى فيها الجامع والمدرسة[1] ، وسمح هذا السجل من أخذ فكرة عن معالم مشروعه العمراني المتمثل في إنشاء عدة مؤسسات علمية ودينية[2] ، كما ساهم في تقديم فهرسة للأعلام الجغرافية، أي معرفة أسماء الأماكن ومواقعها وحتى أصلها التاريخي، وقد اعتمد السجل على تدوين قائمة المساجد وأملاكها الوقفية، والتعرف على عددها ووضعيتها العمرانية، كما سمح بالتعرف على طبيعة الوقف[3].

3- سياسته في مجال الاقتصاد:

أولى صالح باي اهتماما كبيرا بالمجال الاقتصادي عامة والفلاحة خاصة، فقد جاءت فترة حكمه في وقت بدأت موارد البحر تتقهقر، فكان على الأتراك تشجيع الفلاحة كي يحصلوا على تعويض، فكانت سياسة صالح باي تقوم على هذا الأساس، فجعل من الشرق المنطقة الأولى في إنتاج الحبوب[4]، فعمل على تنمية الإنتاج الفلاحي، وكان شديد الرغبة في غرس الأشجار، كما شجع على تقليده في ذلك بمنحة ريالا لكل من يقوم بغرس شجرة ومائة ريال لمن يغرس مائة شجرة[5]، وهذا تشجيعا منه في سبيل البلد.

كما استحدث صالح باي مزروعات جديدة مثل الأرز الذي حاول زراعته بسهول الحامة مستعينا بنظام ري دائم معتمدا على تشغيل عدد من النوريات لرفع الماء إلى مشاتل

[1] ناصر الدين سعيدوني، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 12 و13 هـ/ 18 و19م، معالجة مصادره وإشكالية البحث فيه، البصائر للنشر والتوزيع، 2001، ص 182.

[2] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 162.

[3] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي، المرجع السابق، ص 67.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص 178.

[5] جهيدة بوعزيز، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائري أواخر العهد العثماني (1185-1258هـ/1771-1887م) مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012، ص 24.

الأرز[1]، ولم يهمل في عمله هذا استصلاح السهول التي تغلب عليها المستنقعات بنواحي عنابة، وقد أنشأ لهذا الغرض شبكة من القنوات لصرف المياه الراكدة إلى مجرى النهر[2]، ولعل أهم مشروع زراعي حققه صالح باي هو استغلال السهول الخصبة القريبة من عين مليلة، حيث أقطع فرسان المخزن المعروفين بالزمول[3] الأراضي الواسعة لاستغلالها لحسابه الخاص[4].

لقد تطورت الصناعة في عهد صالح باي وأصبحت مداخيلها تشكل موردا هاما من موارد الخزينة، فنشطت الورشات والمعامل التي كانت موجودة بالمدينة[5]، سار صالح باي على نهج محمد عثمان باشا في توسيع الاستثمارات في بايلك الشرق، بحيث شجع الحرف ووسع الأسواق، فأصبحت قسنطينة منارة وقبلة للتجار والصناع[6] ، كما نظم مدينة قسنطينة في شكل أماكن حرفية وطوائف تجارية للتحكم في الممارسات المالية، وضبط السلع والمحاصيل حسب الطلب والعرض، إلى جانب ذلك كان صالح باي مهتما بتوسيع أملاكه بشراء العقارات والأراضي الخصبة من خارج المدينة[7] ، وذلك ما أوردته الأستاذة فاطمة الزهراء قشي: "أخذت هذه المعاملات صبغة البيع والشراء أو الاستبدال، وقد اشترى عقارات... [8]"، وقد يكون غرضه استثمارها في حركية التجارة ومحاربة المضاربة وارتفاع

[1] صالح عباد، المرجع السابق، ص 178.

[2] جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص 24.

[3] قبائل الزمول:وهي قوات محلية وضعت نفسها في خدمة السلطة المركزية بالبايلك مقابل امتيازات اقتصادية معينة. انظر، جميلة معاشي، الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ-16الى 13هـ-19م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2015، ص263.

[4] راوية جريدي وآخرون، المرجع السابق، ص 14.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 164.

[6] حسان كشرود، المرجع السابق، ص 38.

[7] سهر ماهود محمد، المرجع السابق، ص 413.

[8] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي، المرجع السابق، ص 109.

الأسعار وتخصيص جانب منها لرعي خيول البايلك تحت إشراف قائد الدار[1] ، فعرفت البلاد في عهده ازدهارا، حيث عم الخير في الكثير من المناطق والأسواق والموانئ كعنابة والقل ومرسى سكيكدة الذي أسسه فصار قطبا للتجارة الخارجية[2].

إذن فقد عرفت قسنطينة في عهد صالح باي نموا اقتصاديا معتبرا، وذلك راجع لاهتمامه الكبير بالصناعة والزراعة خصوصا، وكذلك تشجيعه للتجارة الداخلية والخارجية.

ثالثا: أعماله الحربية ونهايــته

1-أعماله الحربية:

قام صالح باي بحملات خارجية، ويقصد بها رد الهجوم الخارجي والمتمثل في مشاركته في رد حملة الكونت أوريلي على مدينة الجزائر سنة 1775، وتأمين حدود البايلك وموقفه من باي تونس حمودة باشا[3].

إن الحملات الداخلية التي كان يقوم بها صالح باي لم تشغله عن المساهمة في الدفاع عن البلاد، فشارك على رأس قوة بايلك قسنطينة في دحر الهجوم الاسباني على الجزائر[4] بقيادة الكونت أوريلي، وذلك امتثالا لأوامر الداي، بادر صالح باي بالهجوم على طلائع الحملة الاسبانية، وأبدى في ذلك شجاعة نادرة وبسالة قل نظيرها [5]، وقد تعرض لها نقيب

[1] قائد الدار: يتولى الإشراف على أملاك البايلك، وقد ينوب الباي في تسيير الأمور عندما يكون هذا الأخير خارج المدينة للمزيد أنظر: ناصر الدين سعيدوني،<< مذكرة حول إقليم قسنطينة >>، مجلة الاصالة، العدد 70-71، الجزائر، جويلية 1979، ص6.

[2] محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1972،ص ص 65-66.

[3] حمودة باشا، ولد في ديسمبر 1759 في الجزائر، تميز بمقدرة وكفاءة فاقت جميع بايات الدولة الحسينية إشتهر بشغفه لإنجازات الثورة الفرنسية وحبه للاطلاع على أخبار أوروبا وشؤونها، كان شديد التعلق بالحياة العسكرية، وتولى قيادة المحلة العسكرية . للمزيد أنظر: رشاد إمام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782-1814)، رسالة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت، ص ص 67-68.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص177.

[5] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص291.

الأشراف في تأليفه بقوله: "جاء صالح باي قسنطينة من ناحية الواد وقدم أمام الاسبانيول الألوف من الإبل فلما قربت من المتارز ابتدأ القتال ... "[1] ذلك انه أمر بجمع كل الإبل التي كانت بالمعسكرات وتوحدوا جميعا وأجهزوا على العدو، فوجدوا الكثير من القتلى والجرحى وألحقوا خسائر كبيرة بالإسبان بفضل صالح باي الذي وضع خطة حربية ممتازة ساهمت في هذا النصر والقضاء على الاسبان، فقد طلب بإحضار الصوف ووضعها فوق الجمال وعند اشتعالها اندفعت الإبل نحو خنادق الاسبان فداست خنادقهم وبذلك انهزموا[2].

وقد اشتهرت هذه الواقعة بواقعة عام الرمل لوقوع الاشتباكات فيها برمال الشاطئ على ساحل مدينة الجزائر[3].

أما بشأن مساعي صالح باي الرامية لتأمين حدود البايلك الشرقية، فتتمثل في موقفه الحازم من باي تونس حمودة باشا سنتي 1783-1787، ويتلخص هذا الموقف الذي وقفه صالح باي من باي تونس، والذي هو خير شاهد على حنكته السياسية وحسن تصرفه في مثل هذه القضايا، في أن صالح باي أصر على تقديم تعويضات ملائمة عن الخسائر التي كان قد أحدثها جند حسن الكبير قائد علي باي تونس عند ملاحقته لقبائل تونسية استقرت بجنوب تبسة هربا من تعسف علي باي تونس[4].

وتحت تهديد صالح باي باستعمال القوة اضطر حمودة باشا الذي خلف أباه علي باشا في حكم تونس سنة 1782 للرضوخ لمطالب صالح باي وتقديم تعويضات ملائمة له، وبذلك حصل صالح باي سنة 1784 على تعويض يقدر بخمسة وعشرين ألف سكة [5].

---

[1] جهيدة زروخي، صالح باي ودوره في الحياة الفكرية والعلمية في قسنطينة (1771-1792م)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 20-20، ص 16.

[2] المرجع نفسه، ص16.

[3] احمد توفيق المدني، حرب الثلاثمئة سنة بين الجزائر واسبانيا، المرجع السابق، ص 505.

[4] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص244.

[5] المرجع نفسه، ص244.

2- نهـــايته:

اجتمعت جملة من الأسباب أدت إلى نهاية صالح باي من بينها:

أ-كثرة أعدائه ومنافسيه من الأتراك: ومن أهم هؤلاء الأعداء إبراهيم المعروف ببوصبع[1] الذي كان قائدا على الزمالة بقسنطينة وأحد كبار البايلك بها، والذي عين خلفا لصالح باي لكنه لقي حتفه إثر تمرد صاح باي على قرار العزل الصادر في حقه، ومن أعدائه أيضا حسن بوحنك[2]، الذي اضطر إلى الهرب من الجزائر خوفا من بطش صالح باي والذي كلف فيما بعد بمهمة القضاء على صالح باي [3].

ب-تحول طائفة الحضر عن تأييد صالح باي: قدمت طائفة الحضر [4] في البداية خدمات لصالح باي وساندته في بعض مواقفه من بقية السكان، لكنها بدأت تتخوف منه عندما تحول في آخر عهده إلى فرض الضرائب والقيام بالمصادرات، ولعل الذي زاد في تخوف أعيان قسنطينة من تصرفات صالح باي موقفه المعادي لباي تونس، والذي تسبب في الاضرار بتجارة القوافل المزدهرة مع أقاليم تونس[5]، ويبدو أن العديد من سكان قسنطينة كانوا يمارسون التجارة مع تونس وهذا ما أضر بمصالحهم.

---

[1] إبراهيم باي المعروف ببوصبع: نصب بايا يوم 21 أوت 1792، وفي نفس الليلة هجم عليه صالح باي ورفاقه وقتلوه وعاد صالح باي الي السلطة .للمزيد أنظر، صالح العنتري، المصدر السابق، ص 66.

[2] حسن باي المدعو بوحنك: 1736-1754مهد الله تعالى زمانه الوطن والبلاد وأصلح الله به الرعية والبلاد .للمزيد أنظر، صالح العنتري المصدر السابق، ص56.

[3] جهيدة زروخي، المرجع السابق، ص 17.

[4] طائفة الحضر، يطلق اسم الحضر على المقيمين في البلدة أو المدينة وتشكل من المجموعات السكانية القاطنة بالمدن والتي تعود في أصولها إلى الفترة الإسلامية، وهي تشمل كذلك السكان الذين يسكنون المدينة قبل مجيء الأتراك، وهم يعيشون من صناعاتهم التقليدية ومن الوظيف العمومي . للمزيد أنظر: دحماني منى، الفئات الاجتماعية في العهد العثماني الكراغلة واليهود نموذجا (1518-1830)، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة، 2012-2013، ص 19-20.

[5] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث ...، المرجع السابق، ص300.

ج-عداء أهالي الريف لصالح باي: فقد منح صالح باي في بداية عهده امتيازات لشيوخ القبائل وزعماء العشائر، بحيث تمكن بفضل ذلك من مد نفوذه على مناطق واسعة من بايلك الشرق، لكن ما لوحظ بعد ذلك أن صالح باي لم يعد يعطي وزنا لرؤساء العشائر، هذا ما أدى بهم إلى الوقوف في وجهه مثل شيخ الدواودة[1].

د-نفور رجال الدين من أسلوب صالح باي: حاول صالح باي كسب رجال الدين بمنحهم العطايا وإسقاط المطالب المخزنية عنهم وإعطائهم الاقطاعات الواسعة، لكن رجال الدين ما لبثوا أن اتخذوا موقفا عدائيا اتجاه صالح باي وفضلوا مساندة أهالي الريف، وأيضا سياسة صالح باي المالية الثقيلة التي حرمت رجال الدين من عوائد الزيادة، هذا فضلا على أن تنظيمات صالح باي التي قصد منها النهوض بالمعارف الأدبية والعلوم الدينية لم يتقبلوها بطيب خاطر، بل رأوا فيها ابتعاد عن روح الطرق الدينية التي يدعون إليها ويحاولون اكتساب الأنصار لها[2].

اجتمعت هذه الأسباب وأخرى ليأتي تنفيذ حكم الإعدام في شخص صالح باي خنقا بحصن القصبة ليلة الأحد 16 محرم 1207هـ الموافق لـ2 سبتمبر 1792 وبعدها سلم جثمانه لعائلته[3]، ومنه فإن نهاية صالح باي المأساوية كانت نتيجة حتمية لتصرفاته السيئة خصوصا في نهاية عهده.

[1] فاطمة الزهراء قشي، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، المرجع السابق، ص131.

[2] محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص139.

[3] ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المرجع السابق، ص 304.

الفصل الثالث

الصحراء الجزائرية من خلال رحلتين محمد الكبير وصالح باي (ق12هـ- 18م)

أولا: وضع الصحراء الجزائرية من خلال الرحلتين

ثانيا: المناطق والمدن الصحراوية المذكورة في الرحلتين

ثالثا: نتائج وانعكاسات الرحلتين على الصحراء الجزائرية

رابعا: استنتاجات خاصة

أولا: وضع الصحراء الجزائرية من خلال الرحلتين

منذ القرن السابع عشر انتهج الحكام الأتراك سياسة ترمي إلى مد نفوذ البايلك إلى الجهات الداخلية وإخضاع القبائل الممتنعة والمهيمنة على مقاليد القبائل الحليفة للبايلك، وقد اتبعوا في ذلك أسلوبا يعتمد على القوة ويتصف بعدم مراعاة ظروف وأحوال الأهالي وتجاهل رأي رجال الدين، وهذا ما تسبب في حدوث الإضطرابات واندلاع الثورات.

وقد عرفت الصحراء الجزائرية في فترات متعاقبة عدة حملات عسكرية منها حملة صالح رايس في أكتوبر سنة 1552التي تمكن أثناءها من السيطرة على ورقلة ومحاصرة تقرت، وحملة يوسف باشا سنة 1649 لإخضاع تقرت وورقلة، وحملة الباي حسان باي وهران ضد االطريقة التيجانية، بعين ماضي[1].

1-وضع الصحراء الجزائرية من خلال رحلة محمد الكبير

من خلال رحلة محمد الكبير يتضح أن الصحراء الجزائرية خلال ق12هـ/ 18م ميزها خروج الكثير من القبائل عن السلطة المركزية، إذ أن الكثير من القبائل في ذلك الوقت كانت غير خاضعة لسلطة الدولة العثمانية، كما أن الكثير من أعراب المنطقة كانوا متمردين، يفضلون عيشة الأحرار على العيش تحت سلطة الغير[2]، وعليه فإن محاولة السلطة إخضاع المناطق المتوجه نحوها في الجنوب، سواء المتمردة أو الخارجة على سلطان الدولة، الهدف منه في الكثير من الأحيان هو الرغبة الملحة في جمع المال لتدعيم الخزينة بالدرجة الأولى، وهو ما يوحي به قول ابن هطال: " أعلم أنه لما اتفق نظر سيدنا المذكور أطال الله بقاءه وأيامه وجعل النصر دائما خلفه وأمامه في جهة القبلة رأى أنها ذات بلدان كثيرة وأعراب راحلة ومقيمة إلا أنها لم تتلها أيدي السلطة ولم يكن للملك مصلحة ولا منفعة"[3]. فغالبا ما

[1] ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص ص 36- 37.

[2] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص35.

[3] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تتعلق المصلحة بالإتاوات التي كان يطلبها من المنهزمين والمستسلمين ويدفعها إلى بيت المال.

2-وضع الصحراء من خلال رحلة صالح باي:

أما فيما يخص وضع الصحراء الجزائرية من خلال رحلة صالح باي خلال ق12هـ-18م، فقد كان يسودها الكثير من العصاة بالإضافة إلى انتشار الفوضى ما أدى إلى فرض الضرائب للحدّ من الإضطرابات، كذلك تعرضت الصحراء الجزائرية لهجمات عسكرية استهدفت الأقاليم البعيدة عن قسنطينة من أجل توسع نفوذ البايلك ومد سلطة الدولة على المناطق النائية [1].

وعليه فإن وضع الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي كل من محمد الكبير وصالح باي ميزه إخضاع المناطق المتمردة، وكذلك توسيع نفوذ البايلك والأهم من ذلك جمع الأموال عن طريق جباية الضرائب، لتدعيم الخزينة بالدرجة الأولى، لأنها كانت تعاني العجز خاصة خلال ق12هـ- 18م.

ثانيا: المدن والمناطق الصحراوية المذكورة في الرحلتين

1-المناطق المذكورة في رحلة الباي محمد الكبير:

تعتبر رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي من بين الرحلات المهمة لاحتوائها على أخبار جغرافية، سياسية، عسكرية وأدبية، لا يستغني عنها أي دارس للجزائر خلال القرن 12هـ-18م، وقد رافق الباي محمد الكبير خلال انتقاله إلى عين ماضي لتأديب أصحاب التجانية، كاتبة ابن هطال التلمساني وسجل تفاصيل هذه الرحلة بدقة، [2] بحيث نقل إلينا صورة عن حالة البلاد التي سادها خروج الكثير من القبائل

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص24.

[2] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء، ج1، المرجع السابق، ص140.

في الريف على طول الطريق بين معسكر وعين ماضي عن سلطة البايلك برفضها دفع الضرائب، وهو الوضع الذي عزم الباي على تغييره، وفي هذا الإطار ذكر المؤلف بشجاعة كبيرة طريقة محمد الكبير لتحقيق مراده، أي طريقة تعامله مع الرعية[1].

ولابد من الإشارة إلى أن رحلة الباي محمد الكبير كانت تحتوي على مناطق عبور عديدة، منها ما كان للتنظيم والاستعداد، ومنها ما كان للراحة، ومنها ما كان مستهدفا، ومنها ما تمت الاشارة إليه فقط، وسنكتفي بذكر المناطق المهمة التي نستطيع من خلالها إبراز وجهة نظر الباي محمد الكبير نحو الجنوب الصحراوي الجزائري، ونرسم صورة للصحراء الجزائرية من خلال هذه الرحلة ولوفي جزء منها، وبطبيعة الحال فأي رحلة تكتسي طابع التنظيم لا بد لها من نقطة انطلاق ينطلق منها الرحالة، وبالنسبة لرحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري فتتمثل نقطة الانطلاق في:

●**مدينة معسكر:** تعتبر مدينة معسكر المقر الأصلي الباي محمد الكبير ، إضافة لكونها نقطة انطلاق لرحلته نحو الجنوب، وقد أشار إبن هطال لذلك بقوله: " فخرج بقومه وعسكره من المعسكر التي هي محل موطنه"[2].

من أبرز مناطق العبور في رحلة الباي محمد الكبير:

●**دير الكاف:** تكمن أهمية هذه المنطقة التي نزل بها الباي محمد الكبير في أنها توضح الخطة التي رسمها الباي لتنظيم صفوفه، بحيث ترك محلته في هذه المنطقة، وأكمل مسيره بإتجاه الجنوب. وهذا ما دل عليه قول الكاتب: " وفي يوم الاثنين ترك المحلة مقيمة هناك وركب غازيا على العمور"[3]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن التنظيم

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق ، ص35 .

[2] المصدر نفسه، ص36.

[3] العمور: وتكاد تكون جنة يانعة مياه دافقة وخضرة وخصب مثمر شمالها النجود وجنوبها رمال الصحراء وأهم هذه الجبال جبل سيدي عقبة الذي يرتفع 1707أمتار، أنظر أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، مطبعة العربية، الجزائر،1984، ص38.

والتخطيط والاستعداد المسبق من قبل الباي محمد الكبير لأجل تحقيق الأهداف المرجوة من هذه الحملة.

•**البيضاء:** وصل إليها الباي بعد مسيرة دامت 8 ساعات، واعتبرها كمحطة للراحة لما توفرت عليه من متطلبات(الأمن – الاستقرار– الماء والكلأ) التي ساعدت المحلة على الاسترخاء من أجل مواصلة المسير، وفي هذه المنطقة بالذات ورد إليه الأحرار الغرابة بخيلهم التي إشترطها عليهم، فقبلها منهم، وأمرهم أن يأتوا له بخمسمائة جمل، كلها جيدة قوية على الحمل فقبلوا ذلك، وطلبوا منه الأمان، فأمنهم[1] وعلى الغالب فإن السياسة التي اتبعها الباي محمد الكبير مع هؤلاء القوم فهي المتبعة من طرف حكام الدولة العثمانية اتجاه الرعية.

•**خنيق الملح:** هو عبارة عن جبل كله من ملح، إلا أن أكثره يظهر في رأي العين أخضر والبعض منه كشفت ترابه الأمطار وغسلته، فصار ملحا أبيض ما يكون. وصل الباي محمد الكبير إلى هذا الجبل بعد مسيرة دامت تسع ساعات، وفي هذا الموضع أدركته الطوالع[2]، وأتوه بخبر منزل القوم وأنه خلف الجبل، فصح عنده شن الغارة على تلك الجبال والأودية، فلم يبق واد إلا وفيه طليعة، [3] ولا جبل إلا وعليه كتيبة، [4] وكانت منازل القوم بعضها في الوادي، وأكثرها في الجبل، فقصد الباي محمد الكبير من كان في الجبل منهم، ففروا هاربين بأنفسهم طالبين النجاة لذريتهم وعيالهم، وهنا يظهر بوضوح خوف الناس ورعبهم من بطش الباي محمد الكبير، فالفرار أو الاستسلام كلاهما يدلان عن قوة السلطة وتمكنها من فرض سيادتها، فغنمت المحلة من هذه الغارة مغانم كثيرة من خيام وفرش وأمتعة.

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص36.

[2] الطوالع: هي التطلع والاستطلاع.

[3] طليعة: هذا أمر وتخطيط عسكرية.

[4] كتيبة: هي الفرقة العسكرية الكبيرة.

الخضراء وتاويله: تعتبر المنطقتان من بين مدن العبور في رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، حيث وصل الباي إلى مدينة الخضراء بعد مسيرة ست ساعات، وجاوزها بنحو الميل ونزل على تاويله، وهما مدينتان كل واحدة لها بساتين كثيرة وماء غزير ومزارع، إلا أن تاويله أكثر عمارة وأوسع مزارعا، فلما نزلت المحلة وحط أفرادها أثقالهم، وضربت خيامها وأخبيتها شرعوا في نهبها[1]، وهذا إن دل على شيء فإنها يدل على أن من الحكام الأتراك من طغى عليهم الظلم والطغيان، والاعتداء على الأملاك، وإثقال كاهل الأهالي بالضرائب، حتى قيل بأنه لا يوجد في الدولة العثمانية علاقة أسوأ من علاقة الأتراك بالعرب في الجزائر، ومثلت مدينتي الخضراء وتاويله صورة المنطقتين المغلوب على أمرهما، فقد وقعتا بسهولة في يد جيش محمد الكبير "فأهلها من الرجال والنساء لما سمعوا بقدومه قبل وروده عليهم، هربوا بأنفسهم وذرياتهم وتفرقوا في رؤوس الجبال..."[2]

●**الخير:** استغرقت المسافة بينها وبين تاويله نحو ست ساعات، والخير كما وصفها ابن هطال: " منزل فيه ثلاث عيون، كل عين منها في غاية ما يكون، في صفاء الماء وقوته وإتساع الأرض التي تسقى به، "ثم تلك العيون متفرقة في أماكن ينابيعها، وحيث انفصلت عن أماكنها، انحدرت من بلادها، اجتمعت فوق المضيق، الذي يقال له "رأس واد الشلف...."[3]

واستمدت منطقة الخير أهميتها في رحلة الباي محمد الكبير إلى الصحراء الجزائرية كونها المكان المتفق عليه مسبقا لإعادة التئام الجيش، حيث توفرت هذه المنطقة على ما يساعد على التجمع، خاصة ما تعلق بالأمن، وقد أشار ابن هطال إلى ذلك بقوله: " فبات

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص40.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص41.

الناس على هناء"[1]. فالمبيت في منطقة معينة أثناء الحركة غالبا ما يدل على الأمان والاستقرار، وفي نفس الوقت السيطرة عليها.

•**قصر أوفل:** ارتحل الباي محمد الكبير من منطقة الخير لشدة البرد بها وخوفه على الإبل لعدم انقطاع الثلج، ونزل "قصر أوفل" بعد مسير أربع ساعات، وعندما نزلت المحلة قصدت القوم هذا القصر لأجل القمح والشعير وغير ذلك، فوجدوا أهله هربوا منه ولم يتركوا شيئا ظاهرا.[2] وذلك خوفا من بطش الباي ومحلته.

وفي هذه المنطقة قدمت عليه طوائف العرب مثل " أولاد صالح" و" أولاد يعقوب " القبالة، و"أولاد يعقوب" الغرابة وغيرهم. وكلهم أتو بالقادة طالبين الأمان لأنفسهم متحملين لما فرض عليهم، فجعل على كل قبيلة منهم شيئا معلوما من الإبل والخيل وأمنهم، وكساهم، ورفع عنهم ما هم فيه من الخوف والويل، ففرحوا بالأمان فرحا شديدا وذهبوا مبشرين أهلهم بعافية وطنهم وعمارته مخبرينهم بكرمه، وهنا نستشف بوضوح خصال الباي محمد الكبير الطيبة وحسن تعامله مع أهل الصحراء وبالأخص من جاء طالبا عونه وأمانه.

•**القعدة:** تقع في الجهة الغربية على حاشية الوادي، يضرب بها المثل في الصعوبة المحيطة بها سبعة أدوار، لذلك اشتهرت بهذا الاسم، وتبرز أهمية هذه المنطقة في رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري من خلال إظهارها لأوجه متعددة للباي محمد الكبير في تعامله مع أهل الصحراء، فمن جهة نلمس فيه الظلم والطغيان وحب السيطرة "....حتى أحاطت بهم القوم من كل جهة، وجعلت تلتقط أنعامهم، وتنهب خيامهم، وأمتعتهم حتى أخذوا عن آخرهم....حتى إنه لم يبق منهم واحد إلا وهو واحد من ثلاثة: إما قتيل، أسير أو مقطوع الأذن حسير"[3]، ومن جهة أخرى يظهر جانب الرأفة والشفقة في شخص الباي محمد الكبير من خلال إطلاق سراح الشيوخ والصبيان، ويظهر ذلك واضحا

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص42.

[2] المصدر نفسه، ص44.

[3] المصدر نفسه، ، ص46.

في قول ابن هطال: " فلما رأى ماحل بهم أدركته الشفقة عليهم. فأمر بإطلاق الشيوخ والصيان.."[1]، كما برز في هذه المنطقة اهتمامه بالمرأة، فقد نبه على أن المرأة لا يتعرض لها، ولا يأخذ أحد شيئا من لباسها، صونا لحرمتها، فحصل للناس سرور ونعمة وتباعدت عنهم كل فاقة ملمة. ودعوا للباي بنصره وتخليد الخلافة في نسله وفرعه.

●**الدبداب:** نزل بها الباي محمد الكبير بعد مسيرة ست ساعات ونصف. وهذا الموضع هو رأس واد القصب. وكما يسمى الدبداب يقال له: أبو شكوة أيضا، وفي هذا الموضع ذكرت له مدينة تسمى زنينة، قريبة من الدبداب على نحو أربع ساعات، وهي لبعض الأعراب الذين لا حكم عليهم لأحد، وأهلها أصحاب قوة وعدة، وعزة. وذكر له أن باي التيطري أراد اخضاعها لكنه لم يستطيع، فاشتد حرصه على إخضاعها، وأراد النزول بقربها، فلما رآه أهل تلك القرية علموا أنهم لا قدرة لهم ولا طاقة لملاقاته، فخرجوا منها، ولم يأخذوا شيئا من أمتعتهم وقوتهم، وتركوها خاوية على عروشها، أسيرة في يد ممقوتها، فدخلها من غير حصار عليها ولا قتال[2].

وقد ورد عليه أهل تاجموت، وأهل عين ماضي بعلمائهم وكبرائهم، يريدون خدمته كآحاد الرعية، ويلزمون أنفسهم بشيء يرتضاه، حتى تأتي على جميعهم المنية. فقسط لكل واحد منهما قسطا معتبرا يعطونه في كل عام إلى آخر الدهر، فكانوا يدفعون الدراهم، الصياغة، الثياب والخيل[3].

●**الأغواط:** [4] هذه المدنية لها أهمية كبيرة في رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري، باعتبارها كانت مسرحا للأحداث الجادة التي اختبرت من خلالها قوة السلطة، وأيضا ما يؤكد أهميتها هو حجم التحضيرات التي سبق غزوها والقوة الهائلة التي

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص46.

[2] المصدر نفسه، ص48.

[3] المصدر نفسه، ص49.

[4] الأغواط: تقع على نهر مزي الذي يتحذ منابعه من جبل عمور وينتهي بعد أن يحمل اسم جدي في شط ملغر جنوبي قسنطينة .أنظر، اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص51.

أعدها محمد الكبير من أجل إخضاعها، الأمر الذي فرض على علمائها أن يقدموا على الباي حاملين بأيديهم صحيح البخاري طالبين الأمان، مذعنين بالطاعة، راغبين أن يكونوا من رعيته، وتم الاتفاق بينهم وبين الباي وبعد انصرافهم، تذكر الباي أنه لم يشرط عليهم شيئا معلوما يدفعونه استدرك وبعث رسله إليهم يخبرهم بذلك فوجدوا أن نيتهم تغيرت، ولما علم الباي بمخالفة أهل الأغواط ارتحل ونزل عليهم، ونظرا لفطنة الباي محمد الكبير وخبرته في تسير الحروب، قام بجولات استطلاعية رفقه محلته، وأخذ بمبدأ الشورى، "...بعدها جمع كبراء قومه وأرباب دولته واختبرهم في كيفية قتالهم، وأيضا ليدفع بمشاورتهم عن لومهم.."[1]، ونظرا لأخلاق الباي محمد الكبير الحميدة والمستمدة من الشريعة الإسلامية، فقد منع محلته من القتال في يوم الجمعة، كما نبههم من عدم قطع الأشجار والنخيل.

بفضل سياسة الباي وتنظيمه المحكم لهذه الحملة استطاع أن يلحق بأهل الأغواط هزيمة نكراء، فبعدما كان المكان مشيدا يزهو بالحياة أصبح مهدما قد هزت المعارك أركانه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شدة بأس الباي محمد الكبير، وقوة فتكه بأعدائه والمعارضين لتوجهاته، وقبل أن يدخل إلى المدينة بعسكره، فضل أن يبعث بكتاب إلى العلماء يحذرهم فيه ويطلب منه الخروج بأهلهم نظرا لحبه وشدة احترامه لهذه الفئة بالذات، وقد جاء في الكتاب ما يلي: "إن بلغكم كتابي هذا أخرجوا غدا عيالكم وأولادكم من هذه القرية الظالم أهلها وانحازوا خارج المدنية إلى جهة، وعليكم أمان الله. وإن خفتم من بعض العسكر أن يوقع بكم. وكلت بكم من يحرسكم. ولا تختلطوا بالقوم، التي أراد الله هلاكها، فإن قبلتم النصيحة فاحذروا الفضيحة. وإن أبيتم فإثم أولادكم عليكم والسلام "[2].

ولما وصل الكتاب العلماء فتحوه ووجدوه خاصا بهم لا غير، فأرادوا من الباي محمد الكبير أن يعفوا عن القوم الآخرين ويظهر ذلك جليا في قول ابن هطال: " يا سيدي ان جعلتنا عتقاءك فامنن على هؤلاء القوم واجعلهم أرقاءك وادخر أجر عفوهم عند الله

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص ص67-68.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

تعالى..." فأعرض عن مقالهم، لكن بعدما شفع لهم الخليفة لدى الباي مقابل دفعهم مائة خادم، وخمسة آلاف ريال بوجو، ومائتين وخمسين بعيرا وأربعة أفراس من عتاق الخيل، ومائتي ثوب، هذا زائد على القدر الذي يعطونه إياه كل عام، عفى عنهم الباي، وتركوا أولاد كبرائهم رهائن لحين يسددوا ما عليهم من إتاوات[1].

●**عين ماضي:** قصده الباي محمد الكبير في رحلته إلى الجنوب الصحراوي الجزائري فلما رأوا أهلها خيله قد طلعت، وبنوده قد أقبلت، فزعت قلوبهم، وطاشت عقولهم، وغلقوا الديار وصرخوا طالبين الطاعة، وكان من عادتهم أن يقدموا النساء على العلماء ولما رأى الباي، ذلك أمر بإبعاد النساء وتحاور مع العلماء واتفق معهم على تحقيق اللزمة[2]، وقد ورد عليه في عين ماضي أولاد يعقوب القبالة بإبلهم فقبلها منهم، وكذلك قدم عليه بني الأغواط باللزمة فدفعوا بعضها ووعدوه بأن يحملوها إليه جملة إلى معسكر، وقد لحق به بني ميزاب طامعين أن ينقض عهده مع بني الأغواط ويخرجهم من بلادهم ويسلمها لبني ميزاب، لكنه رفض ذلك، سألوه بأن يجعل بينهم وبني بني الأغواط صلحا، ويأمرهم بأن يطلقوا من كان محبوسا عندهم من بني ميزاب، فكتب الباي لبني الأغواط يطلب منهم إطلاق سراح المحبوسين مقابل إطلاق سراح أولاد كبرائهم الذين أخذهم رهائن، أما الصلح فهو بينهم، كما أنه لما كان مقيما في عين ماضي، شرع في إعطاء الدراهم والدنانير لوجوه قومه وقواد عسكره، فلم يبق منهم أحد إلا أعطاه، ولا صاحب خدمة إلا واساه، كما أعطى لكل قبيلة بقدر حاجتها ولكل طائفة على حساب أهلها فأوصلهم معروفه، وعمهم فضله حقيرا وجليلا[3].

---

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص69.

[2] اللزمة: ضريبة عينية أو نقدية، تفرض بغرض تموين الحامية والمساهمة في الدنوش، وتفرض عادة على قبائل الرعية. للمزيد أنظر، فلة القشاعي، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، رسالة ماجستير في التاريخ، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1989-1990، ص66.

[3] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص69.

2-المدن الصحراوية المذكورة في رحلة صالح باي إلى الصحراء:

تعتبر رحلة صالح باي إلى الجنوب الصحراوي من بين الحملات العسكرية التي قام بها محاولا إخضاع جميع أرياف البايلك لسلطته، بما فيهم الأقاليم البعيدة وإجبارها على دفع الإتاوات، بعدما كانت مستقلة في فترات سابقة لحكمه[1].

وفيما يلي سرد لمسار رحلة صالح باي والتي بزر من خلاله القبائل والمناطق التي جابها لجمع الضرائب والقضاء على التمرد والعصيان، وفي نفس الوقت يتضح لنا سياسة صالح باي وكيفية تعامله مع أهل الصحراء.

•**قبيلة أولاد نايل أكتوبر1773:** كانت قبيلة أولاد نايل تابعة إلى بايلك التيطري لكنها تدفع الضرائب لبايلك الشرق، لأنها تتردد على سهول قسنطينة وأسواقها[2]، وقد كان سبب حملة صالح باي على هذه القبيلة، أنها شقت عصا الطاعة في وجه الداي بالعاصمة، وتعتبر أول حملة أظهرت بأس صالح باي وعنفه ضد المجتمع الريفي، كما حصل على مغانم ضخمة إثر انتصاره على المتمردين في معركة صالح أو مسيف منها الابل والأغنام والخيام المنهوبة [3]، وربما يكون هذا هو هدف صالح باي من وراء رحلته إلى الصحراء .

وقبل أن يعود صالح باي إلى قسنطينة ليدخلها دخول المنتصرين في شهر أكتوبر1773م، كان قد بعث إلى الجزائر بالكثير من الغنائم مع ستين رأسا وأربعمائة زوج أذن للعصاة الذين قضى عليهم، وذلك ليظهر للداي مدى انتصاره على القبائل المتمردة بنواحي الجلفة وبوسعادة [4].

وفي طريق رجوع الباي ومحلته توقف في جنوب قسنطينة وعاقب العصاة من أولاد زايد من قبيلة البرانية، ونظم حملات أخرى ضد أولاد بوعون و أولاد عمور بالأوراس، الذين

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص241.

[2] أزرقي شويتام، المرجع السابق، ص19.

[3] ERNST MERCIER, Op. cit, p272.

[4] ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص24.

أعلنوا العصيان وجاهروا بالعداء ضد السلطة، ودشرة النميلة التي عاقب أهلها بعنف حيث قتل 100رجل وأرسل رؤوسهم لتعلق على أبواب قسنطينة لتكون عبرة لمن يتجرأ على العصيان.

واقتحم في نفس السنة قرى زنينة، أفلو، تاجموت، الأغواط، التي تعرضت لهجومه واضطرت إلى اعلان الخضوع له، والملاحظ أن بعض المناطق التي تعرضت لمحلة صالح باي في الصحراء الجزائرية تعرضت لمحلة محمد الكبير أيضا، والتي منها نذكر: زنينة، الأغواط، تاجموت، أفلو...وغيرها.

•**مناطق الزيبان**[1]: تعددت حملات صالح باي على مناطق الزيبان أربع مرات، وقد حاول استدراج شيخ الدواودة محمد الدباح للدخول تحت طاعته، وقد اضطر هذا الشيخ بفعل تخوفهم من بطش صالح باي وشروطه الثقيلة الى التسليم والقبول بمطالب صالح باي، وقد توج صالح باي نشاطه بنواحي الزيبان بمهاجمة توقرت وإخضاع أمرائها من بني جلاب[2] سنة1788.

تقرت: تعتبر تقرت من بين المدن التي وصلها سلطان صالح باي، فقد قاد هذا الأخير حملة ضدها سنة1788، وكان سبب هذه الحملة هو تخلي فرحات بن عمر سلطان توقرت عن السلطة المركزية وإمتناعه عن دفع الضرائب لزمن طويل[3]، هذه الأسباب دفعت صالح باي لشن الحملة والتقدم إلى منطقة الزيبان حيث كان خليفة بلشانة يسهر على جمع ضرائب طولقة وبوشقرون والزعاطشة وبعض الواحات الأخرى، ورغم رداءة الأحوال الجوية وحدوث العواطف الثجلية، فقد تمكن صالح باي بعد ثمانية عشر يوما من قطع جبال الأوراس

[1] الزيبان: جبال الزيبان هي قليلة الإرتفاع، ليست بذات خصب ولا عمران، بل كأنما هي في وسط الاطلس الصحراوي، ثغرة سمحت لصحراء الجنوب بالتسرب نحو الشمال. أنظر: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، المرجع السابق، ص 39.

[2] بني جلاب: بقايا بني مرين بربر إرتحلوا من الصحراء واستولوا على المغرب وتلمسان للمزيد أنظر: محمد الطاهر بن دومة، أخبار وأيام وادي ريغ، تقديم وتحقيق محمد الحاكم بن عون، قسنطينة، ص103.

[3] EH. FERAUD , BENDJELLAB Sultans Touggourt Notes historiques sur la province de Constantine , op. cit, p109

والوصول إلى نواحي سيدي خليل ونصب خيامه أمام تقرت، وأمام تعنت صاحب تقرت فرض صالح باي حصارا شديدا على المدينة استمر عدة أسابيع، وواصل ضرب أسوار المدينة وتحصيناتها بالمدافع التي جلبها معه لهذا الغرض، وزاد من تضيقه على المدينة، اضطر حاكم تقوت إلى طلب الصلح والقبول بشروط صالح باي الثقيلة، فقدرت الغرامة التي فرضت عليه بثلاثمائة ألف ريال[1]، يضاف إليها مجموعة من الخيل والعبيد، وذلك مقابل الحصول على عهد الأمان ونيل رسوم التولية على إقليم وادي ريغ[2].

وبالتالي فقد نجح الباي في قمع واضطهاد السكان وألزمهم دفع الضرائب وتقديم الولاء للسلطة المركزية بعدما كانوا مستقلين.

كما قاد صالح باي مجموعة من الحملات استهدفت الحضنة وبريكة[3]، وعاقب السكان لعصيانهم، وأمر بقطع أشجار الزيتون أمام أعينهم، وكان للحدائق الجميلة الموجودة بمقرة وسيدي لكحل نفس المصير وهاجم ورقلة سنة1791 واستطاع الاستحواذ على غنائم معتبرة[4].

- **واد ميزاب:** [5] حاول صالح باي ضم واد ميزاب سنة1792، وسبب ذلك أنه طلب من بني ميزاب بقسنطينة غرمات باهضة دون غيرهم، مما أدى إلى عدواة بين الطرفين، فقد كان هدف صالح باي هو إذلال الميزانين بأسرهم وسبي نسائهم وأطفالهم وإبادتهم، إضافة إلى طمعه في أموالهم وممتلكاتهم، وقد بعث صالح باي برسالة إلى حسن باشا بأن يهب له

[1] ناصر الدين سعيدني، ورقات جزائرية، المرجع السابق، ص243.

[2] وادي ريغ: وهو ينحدر من هضبة الصحراء نحو شط ملغيغ فتكون حواليه واحات تقرت وتماسين و جامعة وغيرها، أنظر: أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائرية، المرجع السابق، ص42.

[3] بريكة: مدينة قديمة كبيرة البساتين والزوع والقطن والحنطة والشعير، ولها صور من طابة وأما سكان طبنة ينتمون إلى قبيلتين: عرب وبرقجانة. للمزيد أنظر: إسماعيل العربي، المرجع السابق، ص144.

[4] جهيدة بوعزيز، المرجع السابق، ص73.

[5] واد ميزاب: هو معقل الخوارج الإباضين في المغرب، حافظت هذه المنطقة على استقلاليتها وشخصيتها ومذهبها الديني بطابع فذ من الصرامة في الأخلاق والتقشف، أنظر اسماعيل العربي، المرجع السابق، ص157.

واد ميزاب ليكون تحت سلطته، وذلك من أجل تشريد أهل ميزاب والايقاع بهم[1]، وهذا ما تبينه الرسالة التي بعثها علماء بني ميزاب إلى بابا حسن، ولما قرأ الداي الرسالة أجاب عنها، وأبطل ما عهد به إلى صالح باي من ضم وادي ميزاب إلى ولايته، وكتب إلى صالح باي أن يرجع عما عرضه ويخلي سبيل بني ميزاب [2].

وعليه فإن الحملات العسكرية التي قادها صالح باي في إطار رحلته إلى الصحراء الجزائرية، شملت مختلف أنحاء البايلك، واستهدف حتى الأقاليم البعيدة التي لم يجرأ أحد من البايات قبله دخولها كتوقرت ومحاولته ضم واوي ميزاب.

ثالثا: نتائج رحلة كل من محمد الكبير وصالح باي على الجنوب الصحراوي الجزائري

1- نتائج رحلة محمد الكبير على الجنوب الصحراوي الجزائري:

رحلة الباي محمد الكبير إلى الجنوب الصحراوي الجزائري كشفت عن أوجه متعددة، تتعلق بشخص الباي منها ظهور نوع من الظلم والطغيان وحب السيطرة، ومنها الرأفة والشفقة.

- قوة وشجاعة الباي محمد الكبير في قيادة الحروب خلقت في نفوس الناس الخوف والهيبة والإحترام في نفس الوقت.

- كسب ودعم القبائل والأعراب من خلال عفوه وتسامحه وحسن تعامله مع الرعية.

- حبه للعلماء وشدة احترامه لهم، وتكريمه للمرأة وصون حرمتها.

- حرصه على تحقيق ما سعى إليه، وعدم استعماله للعنف إلا للضرورة مثل تعنت بعض القبائل وعدم رضوخها.

[1] ERNEST.MERCIER. op.cit, p285.

[2] جهيدة بوعرير، المرجع السابق، ص73.

– إظهار مدى التزامه بالشرع من خلال الأخذ بمبدأ الشورى، ومنع القتال يوم الجمعة.

– غناه وقناعته وعدم تعلقه بالمال والعز، وتكفله بالخسائر وتعويضها(...وبعث للقياد أن يكتب كل واحد ماضاع لقومه وانزل المكاتيب، فدفعها لكتابه...ولم يبق واحد منهم مات له جمل، إلا أعطاه عوضه أو أكثر، ووفى له عدده)[1].

– ازدياد سعة اطلاعه خاصة فيما تعلق بالمناطق الجغرافية التي كان يريد الذهاب إليها.

– وفاءه بالعهد، فعندما طلب بني ميزاب من الباي أن يخرج بني الأغواط من بلادهم ويسلمها لهم رفض لأنه وعد بني الأغواط بالأمان.

– فرح الناس بنزول الباي عليهم وترحيبهم به، وذلك دليل على عطف ورحمة ومساعدة الباي للناس، وهذا يدل من جهة على خوفهم وضعفهم اتجاهه، ومن جهة أخرى على حبهم له.

– الربح والفائدة التي حصلت لأهل البلد، حتى أنهم تمنوا لو ينزل عليهم كل سنة (حتى إنهم لو وجدوا لنزل عليهم كل سنة، بل كل شهر ولا يضرهم ما يدفعون له بجبران ذلك بالربح الذي حصل لهم...)[2].

– زيادة مساحة الدولة في عهده وذلك بانضمام العديد من القبائل والمناطق الصحراوية إلى الدولة.

– إطلاع الباي على جغرافية الصحراء الجزائرية وأحوالها.

– تعرفه عن كثب على القبائل، المدن والمداشر التي كانت موجودة في الصحراء الجزائرية.

– هروب بعض الناس وهلعهم من بطش الباي محمد الكبير.

---

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص77.

[2] المصدر نفسه، ص65 .

– النهب والسلب الذي تعرض له أهل الصحراء والذي يدل على ظلم وطغيان الحكام الأتراك.

– الأوضاع المزرية الناتجة عن الخراب والدمار الذي خلفه الباي محمد الكبير ومحلتة أثناء غزوهم للصحراء خاصة "بني الأغواط"، وهذا ما استنتجناه من رحلته.

– القتل والأسر وإثقال كاهل الأهالي بالضرائب (الخيل، الذهب، الفضة، الأمتعة، الخيام، الفرش....)، ويبدوا أنه فيها الضرائب المشروعة وفيها الغير مشروع

2–نتائج رحلة صالح باي على الصحراء الجزائرية:

- توسيع نفوذ البايلك ووصوله إلى الأقاليم البعيدة، وذلك راجع لمعرفته بجغرافية البايلك وقد اكتسب هذه المعرفة من شغله لوظيفة قائد العواسي من قبل.
- هذه الرحلة أبرزت شجاعة وحنكة صالح باي، وتصبره وركوب الأخطار من أجل تحقيق هدفه.
- حب التملك والسيطرة وعدم قبوله للتنازل، مما أدى به في الأخير إلى الموت بأبشع طريقة.
- اخضاع القرى والقبائل بالقوة ودون سابق إنذار، واستعماله للعنف والتنكيل بجثث القتلى وهذا ما نلمسه في ثنايا رحلته.
- الاهتمام بجمع المال وإثراء خزينته الخاصة على حساب الرعية، والدليل على ذلك استعمال المدافع لتدمير المدن(تقرت) وقطع أشجار النخيل.
- المبالغة في معاقبة الناس والاستغلال المادي المجحف في حقهم.
- كرهه للميزابيين وإذلاله لهم بمحاولة أسرهم وسبي نسائهم وأطفالهم، والاستحواذ على أموالهم وممتلكاتهم(وهذا ماوجدناه في رحلته).
- الخراب والدمار الناتج عن أعمال صالح باي.

- غضب وإستياء الناس من سياسة التعامل المنتهجة من قبل صالح باي في السنوات الأخيرة ن حكمه.
- ازدياد كره وعداء شيوخ القبائل لصالح باي باعتبارهم حلقة الوصل بين الرعية والسلطة.
- فداحة الخسائر المادية والبشرية التي ألحقها صالح باي بأهل الصحراء مثل توقرت.
- هاجس الرعب والهلع الذي خلفته سياسة صالح باي في نفس الرعية.
- القيام بالثورات والإنتفاضات ضد السياسة المنتهجة.

رابعا: استنتاجات خاصة:

عند دراستنا لمسار رحلتي كل من محمد الكبير وصالح باي إلى الصحراء الجزائرية استنتجنا أن لهما نقاط إختلاف وتشابه، هذا من حيث المناطق التي جابها كل واحد منهما وحجم الضرائب المفروضة من كليهما، وسياسة التعامل التي انتهجها كل باي منهما تجاه القبائل المتردة والمستقلة.

من حيث المناطق: هناك تنوع واختلاف واضح من حيث المناطق التي جابها كل من محمد الكبير وصالح باي، فالنسبة للباي محمد الكبير كانت وجهته الجنوب الوهراني، والملاحظ على المناطق التي نزل بها أن بعضها خصص للتنظيم والاستعداد(دير الكاف والخير)، وبعض منها خصص للراحة والاسترخاء(البيضاء)، وبعضها تم إخضاعه باعتبارها مناطق عبور وكذلك لاحتوائها على مغريات تجعل أي حاكم يرغب في السيطرة عليها(الخضراء وتاويله)، ومنها ما كان مستهدفا ووجب التحضير لإخضاعها مثل (الأغواط). أما فيها يخص صالح باي فقد كانت وجهته الجنوب القسنطيني وعكس محمد الكبير فجل المناطق التي جابها صالح باي كانت من أجل السيطرة وجمع المال، والأمثلة على ذلك كثيرة (الزيبان. أولاد عمور....إلخ).

من حيث الضرائب المفروضة: برز الاختلاف واضحا في جباية الضرائب بين الباي محمد الكبير وصالح باي، فالأسلوب المعتمد من طرف الباي محمد الكبير في فرض الضرائب يعتمد على الحوار بينه وبين الرعية، كما أنه أخذ بعين الاعتبار مستوى معيشة الأفراد وعدم قدرتهم على الدفع(تحقيق اللزمة في عين ماضي لعدم قدرة الناس على دفعها)[1]، بينما صالح باي فيختلف أسلوبه فهو لم يأخذ بعين الاعتبار مستوى معيشة الأفراد أو حتى تطبيق العدالة في استخلاص المطالب المخزنية، فقد فرض أنواع مختلفة من الضرائب

[1] ابن هطال التلمساني، المصدر السابق، ص 69.

وبمقادير وكميات مرتفعة وقد تمكن من الحصول على 3000.000 ريال بسيطة وعدد من العبيد والخيل(وادي ريغ).

من حيث سياسة التعامل: اعتمد كل من محمد الكبير وصالح باي سياسة خاصة في تعاملهم مع أهل الصحراء، والتي أبرزت اختلاف واضحا بينهما، فالنسبة للباي محمد الكبير تعامله مع أهل الصحراء حسب الصفات التي تميزت بها كل منطقة نزل بها، فكما يظهر أسلوب الظلم والطغيان في تعامله يظهر اللين والعفو والتسامح، وما يدل على حسن تعامله مع أهل الصحراء هو احترامه لفئة العلماء والأخذ برأيهم، وكذلك تكريمه للنساء وعفوه عن الأطفال والشيوخ، بينما نلمس عكس ذلك تماما بالنسبة لصالح باي وتعامله مع أهل الصحراء، فصالح باي كان يعتمد أسلوب العنف أساسا في تسييره لحملاته ضد أهل الصحراء، [1] كما أن في مسار رحلته لم يظهر العفو والتسامح في تعامله مع رعاياه من أهل الصحراء.

[1] ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية....، المرجع السابق، ص242.

الخاتمة

الخاتمة

توصلت الدراسة لجملة من الإستنتاجات:

- يعتبر محمد بن عثمان الكردي من أعظم البايات الذين حكموا بايلك الغرب، اشتهر بالذكاء والشجاعة، تولى شؤون البايلك سنة 1192هـ، كان محبا للعلماء والصلحاء، كما كانت له علاقات حسنة مع رؤساء الدول الاسلامية.
- اهتم الباي محمد الكبير بالجانب العمراني فأسس المدرسة المحمدية، كما شيد الجامع الأعظم وأعاد بناء الجامع العتيق، وقام بتشجيع الثقافة وتنشيطها والاهتمام بأعلامها وفقهائها ومفكريها، كما قام بتدعيم الحركة العلمية وذلك بإرسال البعثات الى الخارج، كما شاعت في عهده حركة النسخ والتأليف، وأيضا قدم خدمات إجتماعية استطاع من خلالها مد يد المساعدة والعون للغير، وأظهر من خلالها قيمه ومبادئه الانسانية المستمدة من الشريعة الاسلامية.
- تميز الباي محمد الكبير بحسن إدارته وسياسته في مجال الاقتصاد، وتمكن من إحراز النصر وتحرير وهران واسترجاعها من أيدي الاسبان، وذلك بفضل جهوده التي بذلها في سبيل انشاء الرباطات وتعبئته للجيش بكسب تأييد العلماء والعامة .
- يعتبر صالح باي آخر البايات العظام في تاريخ قسنطينة بل أرفعهم شأنا وأعلاهم مكانة فلا يماثله من ولاة العهد العثماني سوى محمد الكبير.
- اشتهر صالح باي بالمنشآت العمرانية، فقد قام بتجميل حي سيدي الكتاني، وعمر ناحية الشارة، كما قام بإصلاح جسر القنطرة واهتم بالمؤسسات الثقافية وقد ساعده في ذلك كثرة الأوقاف المخصصة للمساجد والمدارس.
- عرفت قسنطينة في عهد صالح باي نموا اقتصاديا معتبرا، وذلك راجع لاهتمامه الكبير بالصناعة والزراعة خصوصا، وكذلك تشجيعه للتجارة الداخلية والخارجية، كما امتاز بأعماله الحربية.

- تميز حكم صالح باي لقسنطينة بفترتين مختلفتين، أولاهما أظهر فيها العدل والانصاف وعرف كيف يحافظ على تأييد أعيان البلد ومساندة القبائل، أما الفترة الثانية وهي السنوات الأخيرة من حكمه فإنه تحول عن سيرته الأولى فاستبد برأيه ولم يعد يرفق بالرعية ويحترم رأي أعيان البلد، مما أدى به في الأخير الى الموت بأبشع طريقة.
- تعرضت الصحراء الجزائرية خلال القرن 12هـ-18م إلى حملة عسكرية تأديبية من قبل كل من محمد الكبير وصالح باي.
- تميز وضع الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي كل محمد الكبير وصالح باي خلال القرن 12هـ-18م بخروج الكثير من القبائل عن السلطة المركزية وسعي السلطة لإخضاعها والقضاء على تمردها وعصيانها.
- لقد كان لرحلة كل من محمد الكبير وصالح باي الى الصحراء الجزائرية انعكاسات على أهل الصحراء منها ما هو سلبي ومنها ما هو ايجابي.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصادر:**

1. البروسوي محمد بن علي، أوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك، تحقيق المهدي عبد الرواخية، دار الغرب الاسلامي،(د.ت).
2. –التلمساني أحمد بن هطال، رحلة محمد الكبير باي الغرب الى الجنوب الصحراوي الجزائري1785، تحرير وتقديم محمد بن عبد الكريم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،(د.ت).
3. التلمساني ابن رقية، الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغارت عليهاجنود الكفرة، نشره سليم بابا عمر، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، الجزائر، 1967.
4. الجزائري محمد أبوراس، فتح الاله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته، حققه وضبطه وعلق عليه محمد عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ،(د.ت) .
5. خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2006.
6. الراشدي أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
7. الزهار أحمد الشريف، مذكرات الحاج احمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، تحقيق احمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1947.
8. الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق وتقديم الشيخ المهدي البوعبدلي، اعتنى به عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

9. شعيب محمد المهدي بن علي، ام الحواضر تاريخ مدينة قسنطينة، مطبعة البعث، قسنطينة، 1980.
10. شلوصر فندلين، قسنطينة أيام أحمد باي 18321837، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، عاصمة الثقافة العربية الجزائرية، 2007.
11. شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1928.
12. عبد القادر محمد بن الأمير، تحفة الزائر في مأثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر، شرح وتعليق ممدوح حقي، ج2، مج 1، ط2، اليقضة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، 1964 .
13. العطار الحاج أحمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة، تحقيق وتعليق وتقديم عبد الله حمادي، دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011.
14. العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق يحي بوعزيز، دار هومة، الجزائر، 2007.
15. الفكون عبد الكريم، منشور الهداية في كشف أخبار من ادعى الولاية، تقديم وتحقيق أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1987.
16. كربخال مارمول، افريقيا ج2، ترجمة محمد حجي وكثيرون، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط،(د.ت).
17. المزاري ابن عودة، طلوع سعد السعود، ج1، تحقيق ودراسة الدكتور يحي بوعزيز، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990.
18. مراكشي، الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة مصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

19. المشرفي عبد القادر الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الاسبانيين من الأعراب كبني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1390.
20. هابنسترايت .أو.ج، رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ-1732م، ترجمة وتقديم وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الاسلامي، تونس.
21. الورتلاني الحسن بن محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تصحيح محمد بن أبي شنب، مطبعة بيرفونتانا، 1908.

- المراجع:

22. الأخضر محمد، الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية 1075هـ-1311هـ /1664م-1894، دار الرشاد، الدار البيضاء، المغرب، 1977.
23. احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرات تيدنا أنموذجا، دار الهدى، الجزائر، 2003.
24. احميدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة.
25. بركات مصطفى، الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 'د.ت).
26. بلحميسي مولاي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.ت).
27. بوعزيز يحي، المساجد العتيقة في الغرب الجزائري، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
28. بوعزيز يحي، الموجز في تاريخ الجزائر، ج2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

29. البوعبدلي المهدي، جوانب من الحياة الثقافية بالجزائر في العهد العثماني من القرن 10هـ-13هـ، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، عالم المعرفة، الجزائر، 2013.
30. الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ المدن الثلاث، الجزائر، المدية، مليانة، شركة دار الأمة، الجزائر، 2014.
31. الجيلالي الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ج3، دار الأمة، الجزائر، 2008.
32. خطابي محمد، لسانيات النص مدخل الى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994.
33. الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1968.
34. سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
35. سعدالله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
36. سعدالله أبو القاسم، ابحاث واراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1990.
37. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
38. سعيدوني ناصر الدين، النظام المالي للجزائر في العهد العثماني 1792-1830، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
39. سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008.
40. سعيدوني ناصر الدين، الوقف في الجزائر أثناء القرنين 12و13هـ -18و19م، معالجة مصادره واشكالية البحث فيه، البصائر للنشر والتوزيع، 2001.

41. عباد صالح، الجزائر خلال الحكم التركي 1814-1830، دار هومة، الجزائر، 2005.
42. العربي اسماعيل، الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
43. غربي كمال، المساجد والزوايا في مدينة قسنطينة الأثرية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.
44. الطمار محمد، الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.
45. قشي فاطمة الزهراء، قسنطينة في عهد صالح باي البايات، منشورات ميديا بلوس، قسنطينة، 2005.
46. قشي فاطمة الزهراء، سجل صالح باي للأوقاف 1185-1207هـ /1771-1791م، تصدير عبد الجليل التميمي، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
47. المدني أحمد توفيق، محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
48. المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجغرافي للناشئة الاسلامية، مطبعة العربية، الجزائر، 1948.
49. مريوش أحمد، الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
50. معاشي جميلة، الحياة الاجتماعية والثقافية والدينية بقسنطينة من خلال سجل مراسلات لجنة الشؤون الدينية 1885-1904، منشورات بونة للبحث والدراسات، عنابة، 2012.

51. معاشي جميلة، الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري بين ق10هـ-16م الى 13هـ-19م، ديوان المطبوعات الجامعية، قسنطينة، 2015.

- **المراجع باللغة الاجنبية:**

52. -ERNEST.MERCIER ,histoiree de Constantine ,marle et f.buion , imprimeurs ,éditeurs 51,constantine ,1903.

53. -E.VAYSSETTES , histoire de Constantine sous la domination turque de 1517-1837, présentation de ourdasiaritengour ,ed.bouchene, paris ,

54. –HENERI.LEONFEY ,histoire doran ,la domination espangnole, typographine adolphe Perrier editer ,1858 ,p257.

- **المجلات والدوريات باللغة العربية:**

55. بلبروات بن عتو،<< الداي عثمان باشا وسياسته، مجلة عصور>>، جامعة وهران، العدد6-7، 2005.

56. بونابي الطاهر، <<ملامح النشاط العلمي والروحي والثقافي بقسنطينة أواخر العهد العثماني>>، مجلة سرتا العدد18، 2015.

57. تزاري مختارية <<التعليم بالكتاتيب القرآنية في الجزائر في منظور الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة>>، مجلة انسانيات مركز البحث في الأنثروبولوجيا، العدد 14-15، الجزائر.

58. سعيدوني ناصر الدين، <<مذكرة حول إقليم قسنطينة>>، مجلة الأصالة، العدد 70-71،الجزائر، جويلية 1979.

59. سهيل جمال الدين، <<ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11هـ-17م>>، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد13، غرداية، 2013.

60. السيد صالح محمد، <<المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العهد التركي>>، مجلة امارباك، مج 4، العدد7، 2013.

61. علي سنوسي والطالب عبد الفتاح داودي، <<الوقف وضوابطه وتطوره التاريخي بالجزائر>>، مجلة التراث، العدد 17، 2015 .

62. بن العيفاوي علي،<<أثر البعد الروحي في فتح وهران سنة 1792>>، مجلة التراث، العدد12، الجلفة، فبراير 2014.

63. قاصري محمد السعيد،<< المدرسة الكتانية بقسنطينة صرح ثقافي يصارع النسيان>>، مجلة سرتا، العدد 18، الجزائر، أوت2015.

64. محمد سهر ماهود،<<الموظفون العثمانيون في إيالة الجزائر دراسة في أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية>>، مجلة التراث العلمي العربي، العدد2، بغداد 2015.

65. يوسف أمير، <<اسهام الدايات في وقف المساجد بمدينة الجزائر 1671-1830>>، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 14، الجزائر، 1433هـ-2012م.

- **المجلات والدوريات باللغة الفرنسية:**

66. A.BERBRUGGER, <<province de Constantine, les anciens établissements religieux musulmans>> , in R.A N:°12 ,année ,1868.

67. CH.FERAUD <<, les bendjellab sultans de Touggourt>> , in, R.A ,N24 ,année 1879.

68. LECTERC , <<Inscription arabes de mascara>> ,in R.A ,N4 ,année1859.

- **الرسائل والمذكرات الجامعية:**

69. امام رشاد، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، رسالة دكتوراه في الفلسفة، الجامعة الأمريكية، بيروت.

70. بكاري عبد القادر، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين في العهد العثماني 1889-1830، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2015-2016.

71. بوجلال قدور، مظاهر التقارب والقطيعة بين العلماء والسلطة العثمانية في بايلك الغرب فترة الدايات 1830-1875، رسالة دكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2016-2017.

72. بوعزيز جهيدة، الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي ببايلك الشرق أواخر العهد العثماني 1185-1258هـ /1771-1887م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة 2، 2011-2012.

73. بورابو عبد الحفيظ، مدينة قسنطينة في أدب الرحلات، مذكرة ماجستير في الآداب، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008.

74. جريدي راوية وآخرون، الحياة الثقافية في مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015.

75. دغموش كاميلية، قبائل الغرب الجزائري بين الاحتلال الاسباني والسلطة العثمانية 1509-1792، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، وهران، 2013-2014.

76. دحماني منى، الفئات الاجتماعية في العهد العثماني الكراغلة واليهود أنموذجا 1518-1830، مذكرة ماستر، العلوم الانسانية، جامعة المسيلة، 2012-2013.

77. زروخي جهيدة، صالح باي ودوره في الحياة الفكرية والعلمية في قسنطينة 1771-1792، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة المسيلة.

78. سعودي يمينة، الحياة الأدبية في قسنطينة خلال الفترة العثمانية، مذكرة ماجستير في الأدب الجزائري القديم، كلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006.

79. شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، 1519-1830، مذكرة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2005-2006.

80. طاهري عبد الحليم، مدرسة صالح باي ومقبرته العائلية بحي سوق العصر بمدينة قسنطينة، رسالة ماجستير في الأثار الاسلامية، جامعة الجزائر، 2008-2009.

81. قشوان عبد الرزاق، السلطة المحلية في بايلك قسنطينة 936-1253هـ/1592-1837م، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2، 2009-2010.

82. كشرود حسان، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية 1659-1830، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2007-2008.

83. لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني ودورها السياسي، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية، جامعة وهران، 2013-2014.

84. لعجال نجاة، الطقوس الاحتفالية في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني 1518-1830، مذكرة ماستر في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2013-2014.

85. معمر رشيدة شذري، العلماء وعلاقتهم بالسلطة العثمانية فترة الدايات، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005-2006.

- **المعاجم والقواميس:**

86. الحفناوي أبو القاسم، تعريف الخلف برجال السلف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1985.

87. دهمان محمد احمد، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990.

88. موستراس. س،المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة وتعليق عصام الشحادات، دار حزم .

89. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت.

الملاحق

الملحق رقم (01)

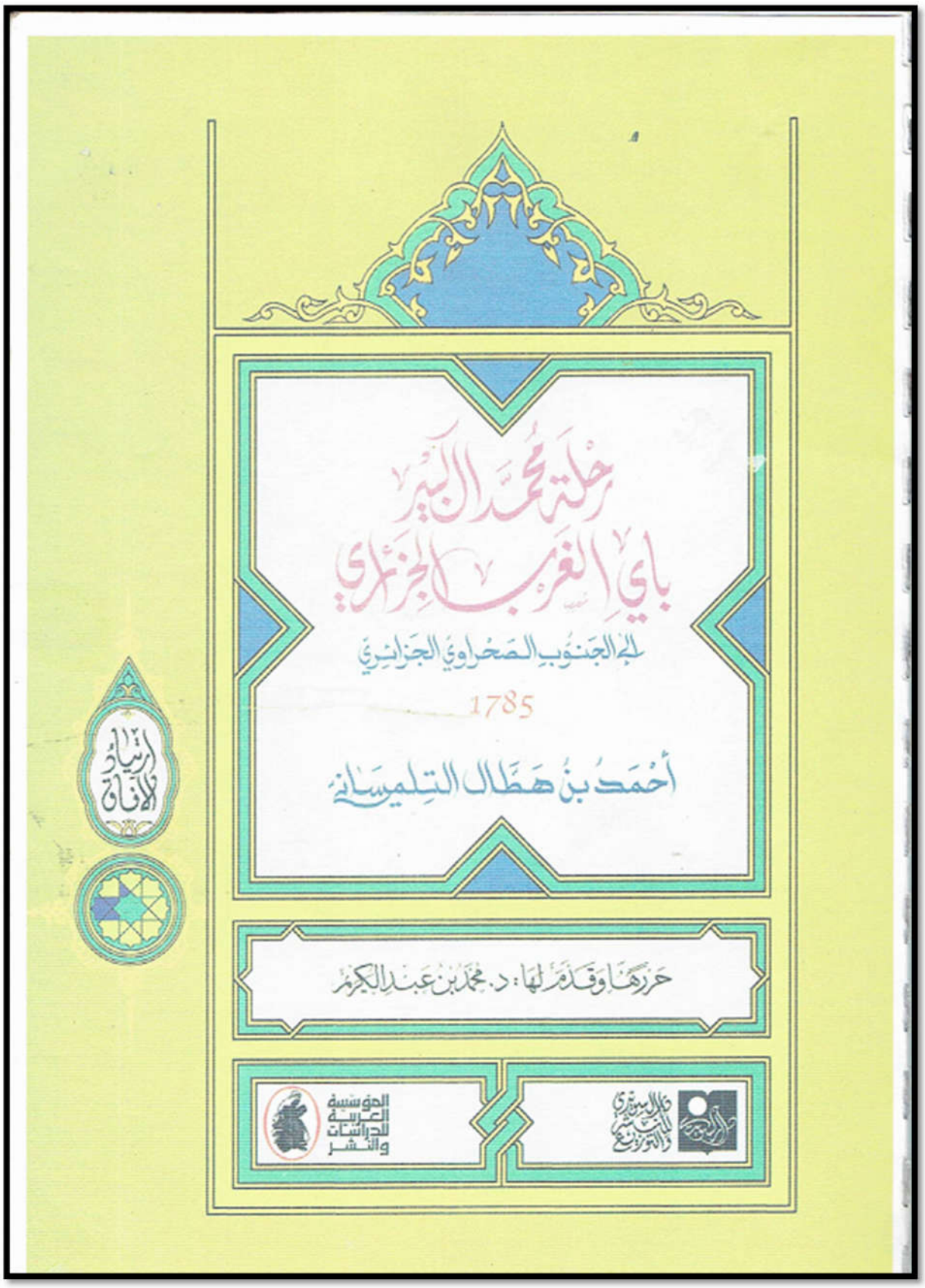

الملحق رقم (02)

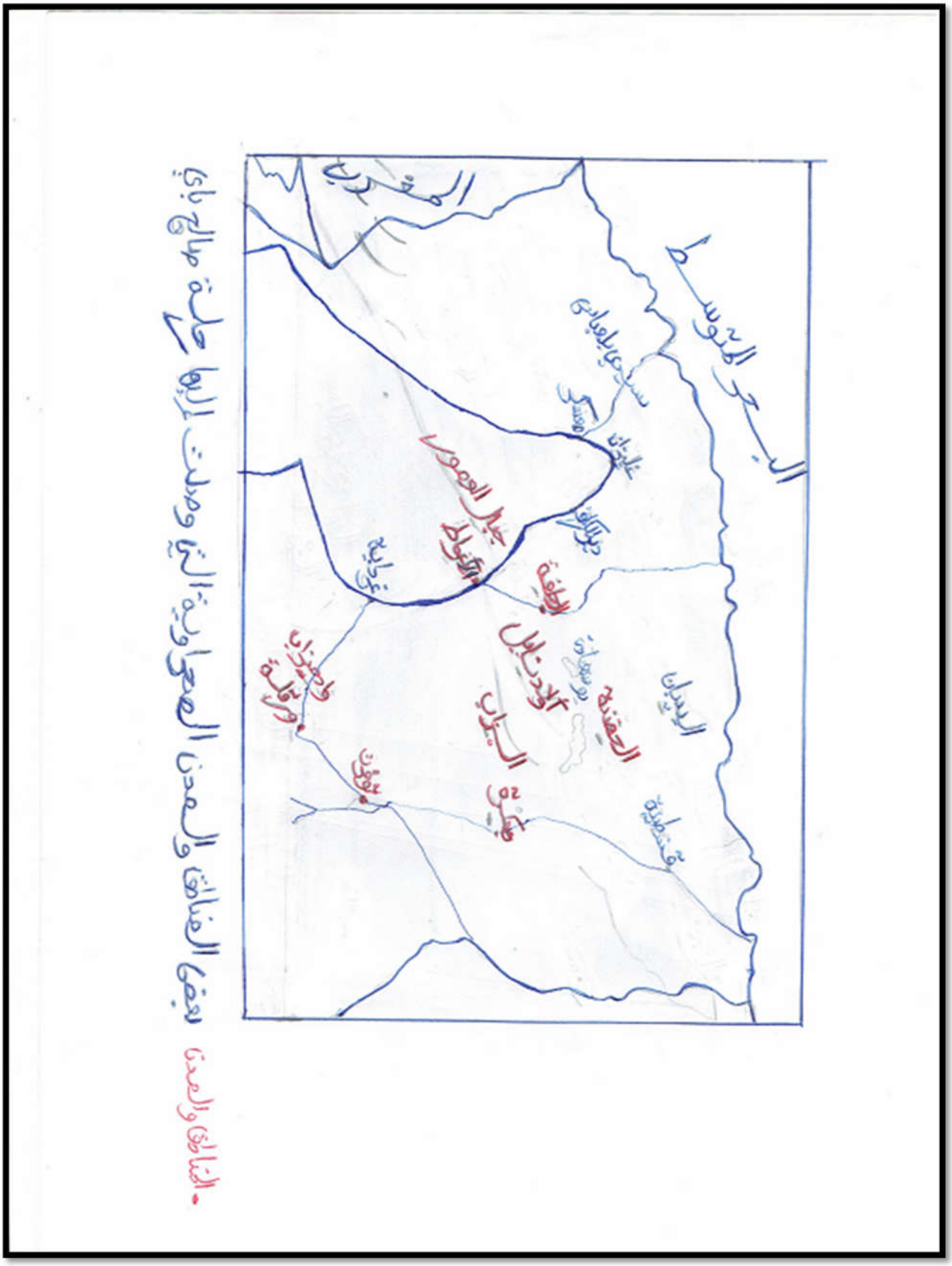

بعض المناطق والمدن الصحراوية التي وصلت إليها حملة صالح باي

المناطق والمدن

الملحق رقم (03)

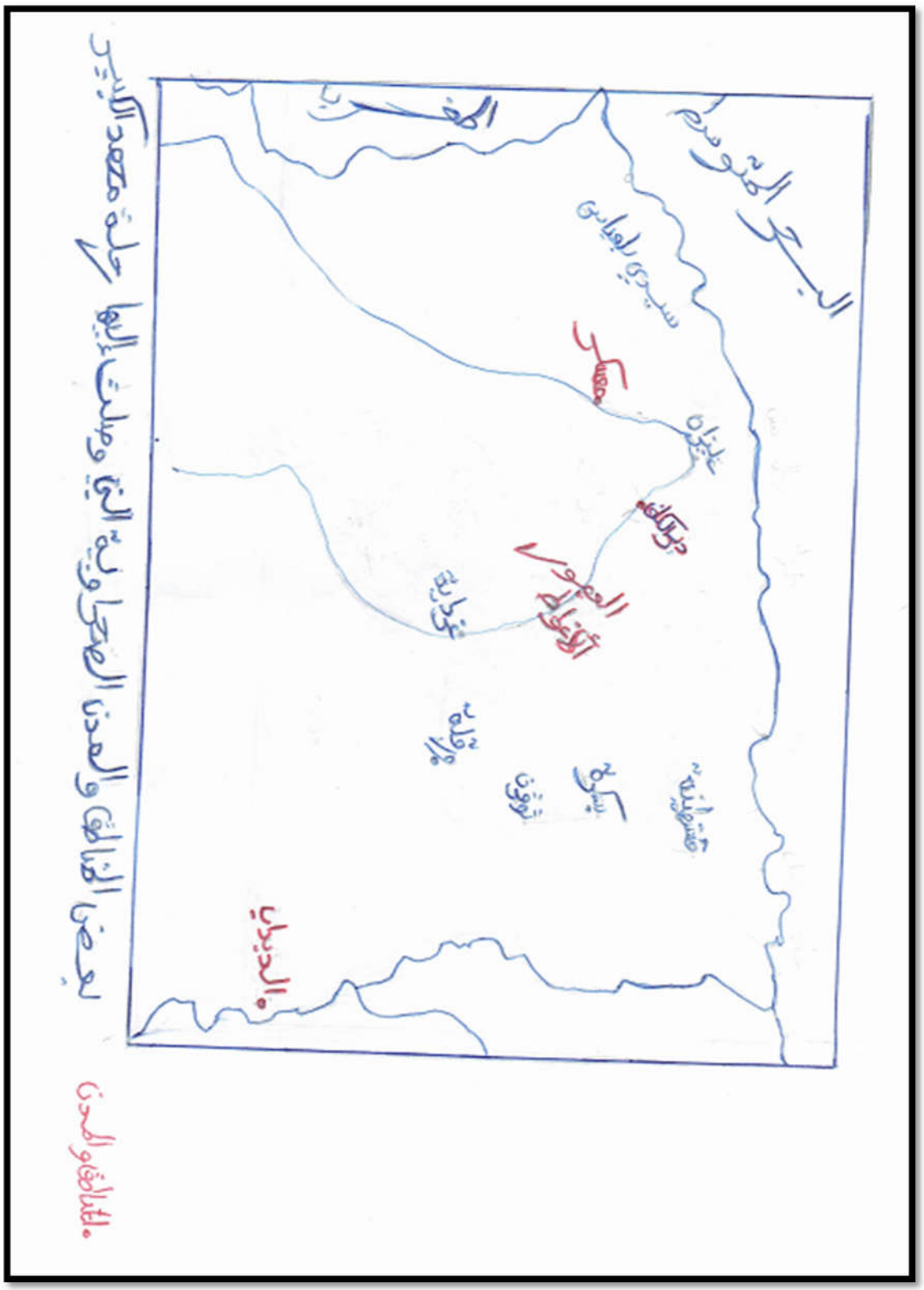

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

المرجع: القرار الوزاري رقم: 933 المؤرخ في: 28 جويلية 2016 المحدد للقواعد المتعلقة بالوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها

تصريح شرفي

خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز البحث

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن عامر هجيرة

الصفة: طالب، أستاذ باحث، باحث دائم: طالبة

الحامل (ة) لبطاقة التعريف الوطنية رقم: 942077

والصادرة بتاريخ: 2012/09/10

عن دائرة: عين الحجل

المسجل (ة) بكلية: العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: التاريخ

والمكلف (ة) بإنجاز أعمال بحث(مذكرة التخرج، مذكرة ماستر، مذكرة ماجستير، أطروحة دكتوراه)، عنوانها:

الصحراء الجزائرية من خلال رحلتي محمد الكبير وصالح باي في 1212هـ-1818م (دراسة تاريخية).

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

التاريخ: 2018 ماي 20

إمضاء المعني

أعتمد
2018 ماي 20
عن رئيس المجلس الشعبي البلدي
وبتفويض من الموظف المكلف
علاوي ناوية

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول التعريف بالباي محمد الكبير	
أولا: نشأتـــه	6
1- تعريف الباي محمد الكبير	6
2- توليته الحكـم	7
3- خصالــه	8
ثانيا: منشآته العمرانية وخدماته الثقافية والاجتمـاعية	9
1-منشآته العمرانية	9
2- خدمـاته الثقافية	13
3- خدمـاته الاجتماعية	16
ثالثا: سياسته في المجال الاقتصادي وأهم انجازاته في الميدان العسكري	17
1-سياسته في مجال الاقتصاد	17
2- من أهم انجازاته في الميدان العسكري	18
3- وفـاته	21
الفصل الثاني التعريف بصالح باي	
أولا: نشأتـــــــــه	24
1-مولد صالح بـاي	24
2- توليته الحكـم	25
3- خصاله	26
ثانيا: منشآته العمرانية وخدماته الثقافية والاقتصادية	27
1-منشآته العمرانية	27
2- خدماته الثقافية	32
3- سياسته في مجال الاقتصاد	35
ثالثا: أعماله الحربية ونهايـته	37
1-أعماله الحربية	37
2- نهـايته	39

الفصل الثالث الصحراء الجزائرية من خلال رحلتين محمد الكبير وصالح (ق12هـ- 18م)

أولا: وضع الصحراء الجزائرية من خلال الرحلتين 42

1-وضع الصحراء الجزائرية من خلال رحلة محمد الكبير 42

2-وضع الصحراء من خلال رحلة صالح باي 43

ثانيا: المدن والمناطق الصحراوية المذكورة في الرحلتين 43

1-المناطق المذكورة في رحلة الباي محمد الكبير 43

2-المدن الصحراوية المذكورة في رحلة صالح باي إلى الصحراء 51

ثالثا: انعكاسات رحلة كل من محمد الكبير وصالح باي على الجنوب الصحراوي الجزائري 54

1- انعكاسات رحلة محمد الكبير على الجنوب الصحراوي الجزائري 54

2-انعكاسات رحلة صالح باي على الصحراء الجزائرية 56

رابعا: استنتاجات خاصة 57

الخاتمة 61

قائمة المصادر والمراجع 64

الملاحق 74

فهرس الموضوعات 77

تم بحمد الله